

لجنة نشر المؤلفات النحوية

الحُبُّ والجَمالُ عند العرب

صفات الحب وأغراضه وأنواعه واختارات وطرائف مما قيل في العشق والجمال
والغزل أو وصف النساء ومقاطيع رائقة ونوادر فائقة للشعراء المشاق
من كل لفظ شائق بديع ومعان كأنها زهر الريح

بقلم

العلامة المحقق المنصور له

أحمد تيمور بابي

عيسى البابي الحلبي وشركاه

فهرس

كتاب الحب والجمال عند العرب

صفحة		صفحة
٢٨	أنواع الحب	٣ تمهيد لمقدمة الكتاب
٢٨	ضروب المحبة	٤ دعاء مأثور
٢٨	حب الولد	٥ كلمة للجنة
٣٠	حب الأيمل واليتامى	
٣١	أمثال فى الحب	١٣ صفات الحب وأغراضه
٣٢	حجة بالنة	١٣ الحب ما هو
٣٣	حب الأزواج	١٤ الحب والمحبوب
٣٣	زواج النبى من خديجة	١٦ عشق الشرف وعشق الجمال
٣٤	حب خديجة للنبي وتقديره لها	١٧ أحلام المحبين
٣٥	خير متاع الدنيا المرأة الصالحة	١٧ الحبيب الأول والحبيب الآخر
٣٦	السيدة سكينة بنت الإمام الحسين	١٨ الحب مع اختلاف الدين
٣٨	عاتكة بنت زيد	١٩ الحب فى كل حال
٤١	زواج امرئ القيس	٢٠ حب النساء والمال
٤٣	ولاء أم عقبة لابن عمها غسان	٢٣ الحب خضوع النفس
٤٤	زواج حاتم الطائى	٢٤ أشقى الناس أهواها
٤٦	حب سحيم لمائشة بنت طلحة	٢٥ رابعة المدوية
٤٧	الثريا وعمر بن أبى ربيعة	٢٥ الحب أحسن المعاصى
٤٩	أبو الأسود الدؤلى وامراته وابنه	٢٦ الهوى قدر
٤٩	المجرد والمرأة التى تبعها	

صفحة		صفحة
٧٦	الغزل ووصف النساء	٥١ الشعراء العشاق
٧٦	النزل والتغرل والفرق بينهما	٥١ جميل بثينة
٧٦	يا ليل الصب متى غده	٥٣ كثير عزة
٧٨	استحسان وضاعة الوجه	٥٤ عمر بن أبي ربيعة
٧٩	كواكب لا كواكب	٥٥ من شعر أمية بن الصلت في الغزل
٨٠	كل فتاة بأبيها معجبة	٥٦ حب امرئ القيس
٨١	أصل بليتي من قد غزاني	٥٧ ذو الرمة ومئة
٨٢	تشبيب عمر بن أبي ربيعة	٥٧ توبة وليلي الأخيلية
٨٣	صبح المشيب يدل على ليل الشباب	٥٩ عبد الله بن طاهر وجاريتيه
٨٣	الشاعر الغزال	٦٠ بحر هوى ليس له شط
٨٤	غزال قد غزا قلبي	٦٠ حب زينب بنت إسحاق النصراني
٨٥	غرام أم جنون	٦١ الثائب من الحب
٨٦	سلموس وسلمسة	٦٢ الحب والجمال
٨٧	عاتكة بنت معاوية	٦٢ حب امتداح النساء
٨٨	وصيفة مهادوية في مجلس ابن صمادح	٦٣ أعرابي يصف امرأة
٨٩	وصف جاريدة المنذر إلى أنوشروان	٦٤ الوصف من المشاهدة
٨٩	فارس عربي جميل	٦٦ أسنان النساء
٩١	غنيه : شحاذه	٦٦ دارة يلعب فيها البدر
٩٢	العيون	٦٧ المرأة والطبيب
٩٢	لأعذب العين	٦٧ تنف الوجه بالخيط
٩٣	معاني لفظ العين	٦٨ تشبيه المرأة ببدر السماء
٩٥	وصف العين وأسماء أجزائها	٦٨ لقاء فتى جميل الوجه في الجنة
١٠٠	آفة النظر وغائله	٧٠ تكتي المرأة بالشاة أو البيضاء
		٧١ في أسماء النساء

الصفحة		الصفحة
١٤٠	عداوة النساء	١٠٢ تعدد الزوجات والأزواج
١٤٠	طاعتهم تردى العقلاء وتذل الأعضاء	١٠٢ هند وأبو سفيان
١٤٣	بنات الأربعين من الرزايا	١٠٢ حكمة التعدد في الإسلام
١٤٤	طرائف عن الحب	١٠٥ المرأة التي تزوج عليها زوجها
١٤٤	حيلة عاشق	١٠٦ عدم زواج الرجل بمن يهواها
١٤٥	بين الحب والمال	١٠٦ رؤية الرجل المرأة عند تزوجها
١٤٦	قليل منك يكفيني	١٠٨ رايات من خمر النساء
١٤٧	من الحب إلى الزهد	١٠٩ كشف وجه المرأة في الإحرام
١٤٩	معى بين أضلعي	١١٠ المرأة لعبة زوجها
١٤٩	يرى القواد الروحين يمتزجان	١١٠ مات زوجها فتزوجت
١٥٠	لئن ساءنى لقد سرنى	١١٢ وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها
١٥٠	العشق عفة ونزاهة	المتوفى
١٥٠	الطرف رسول رائد للقلب	١١٣ القبلية وإباحتها
١٥٢	لنة الحب كلها	١١٥ محاسن الخلق والخلق
١٥٣	أحسنيت زيدى	١٢٢ ما قيل في الأسماء
١٥٣	لنة الألقاء شفاء	١٣٢ ما قيل في المهن والحرف
١٥٤	دعاء في الطواف	
١٥٤	محبة الأعداء	

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى حكم ببدله فقهر ، ودبر بطلعه فيسر ، وألف بين مَنْ شاء مِنْ أحبائه
وجعلهم أحبباً ، وجعل لمجالس الأنس من الفضلاء والندماء ألباباً ، فهم يتذكرون النوادر
والأخبار ، وينتمون فى تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتفاشد الأشعار . أحمد على كلِّ
نعمة ، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة ، وأستغفرو من كلِّ ذنب يوجب النقمة ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تحبى من الخطايا والزلل ، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله البرأ من النقص والخلل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين
وأصحابه التابعين وتابع التابعين . وبعد : فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوى مقاطيع
رائقة ، وقصائد فائقة ، من كلِّ لفظ بديع ومعان كلها زهر الربيع ..

(١) عثرت اللاحقة بين غلافات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة لهذا الكتاب ، ولم نجد أقرأ
لبقية أجزاء المقدمة . ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب . ولما لم يهل الأجل
تحقيق ما توغاه ، آثرنا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه ..

دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عزّ وجلّ - حبّه وحبّ من يحبّه وحبّ عمل يقرب إلى حبّه .
ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه :

اللهم إني أسألك حبّك ، وحبّ من يحبّك ، وحبّ عمل يقربني إلى حبّك .
اللهم ما رزقتني مما أحبّ ، فاجعله قوّة لي فيما تحبّ . وما زويت عني مما أحبّ ،
فاجعله فراغاً لي فيما تحبّ .

اللهم اجعل حبّك أحبّ إليّ من أهلي ومالي ، ومن الماء البارد على الظمأ .
اللهم حبّيني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين .
اللهم أخّر قلبي بحبّك ، واجعلني لك كما تحبّ .
اللهم اجعلني أحبّ بكليّ كلّه ، وأرضيك ببجدي كلّه .
اللهم اجعل حبي كلّه لك ، وسعبي كلّه في مرضاتك .

بقلم الأديب الشاعر
المؤسّس عبد السلام شهاب
عضو اللجنة التيمورية والمحرم بالأهرام

لم يكن عجباً ، أن يعنى بأمر الحبّ والجمال ، عالم أديب ، حجة في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون ، واشتهر إلى ذلك بالترام الوقار والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية ، هو المنفور له العلامة « أحمد تيمور باشا » صاحب هذا الكتاب .
فن قبل ذلك بمئات السنين ، عنى بأمر الحبّ والمحبين ، كثير من أكبر العلماء والأدباء ، وذوى المكانة الزيفة والكلمة الموقرة المطاعة ، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء .

وسيطالع قراء الكتاب ، فيما تضمنه من آراء وأحاديث ونوادير وأشعار وغيرها ، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء ، وفي مقدمتهم : أنبياء وخلفاء وسلطين ، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون ، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحبّ والمحبين قد اختصّ بكتاب كامل من أهم كتب التراث العلمى والأدبى العربى ، هو كتاب « طوق الحمامة فى الألفة والألاف » الذى قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين المشهود لهم بالورع والتقوى والافتداء ، هو الوزير الفقيه الفياسوف أبو محمد على بن أحمد بن سميد بن حزم الأندلسى ، وقد فصل فيه عناصر الحبّ وصفاته وآفاته ، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه ، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخاطبيه ، وأكد بالأدلة القاطعة المقبولة ، أن « الحبّ ليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور فى الشريعة » .

وتعرّضت كتب أخرى كثيرة ، لهذا الموضوع الشائق ، منها كتاب « روضة المحيين وزهرة المشتاقين » ، للملّامة الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قِيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

والمستقرى لتواريخ الأمم والشعوب ، قديمها وحديثها ، وكبيرها وصغيرها ، لا بدّ واجد أنّها كلّها - دون استثناء - تشترك في معرفة الحبّ ومعاناته ، وفي تقدير أهميته في حياة الفرد والمجتمع . ثمّ هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلحظ أن « الحبّ والجمال عند العرب » لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم . فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه ، فما أيسر أن يتبينها فيما توافر للعرب في بيئتهم الخاصة ، من فطرة سليمة وإحساس مرهف ، ومن تدوّق دقيق واع لما يحيط بهم من روائع الجمال وبدائمه ، متمثلة في مناظر صحرائهم ، بما اشتعلت عليه أرضها من رمالٍ وتلالٍ وجبالٍ مختلفة الألوان ، وبما اشتعلت عليه سماؤها من غيوم ونجوم ، تسحر البيون والألباب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال انتجاعاً للربّ ، ومن فصاحة اللسان والجناف ، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصدق وإخلاص ، فهذان برهانان آخران على أنّهم خلّقوا ليكونوا أحقّ بالحبّ وأهله ، وأقدر على حمل تبعائه وأصدق تصويراً له وتعبيراً عنه .

وقد تمدّنت بجمال الحبّ وحبّ الجمال فطاحل الشعراء العرب ، منذ عصر الجاهلية . ولم تخل من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد الكبرى التي قدّسها العرب الجاهليون وعلّقوها على الكعبة تشريعاً لأصحابها ، وتقديراً لبلاغتها فيما أكّد كثير من الرواة .

وفي أشهر هذه « المعلقات » يقول امرؤ القيس بن حجر الكندي :
أفاطيمُ : مهلاً ، بعضَ هذا التدلّلِ وإن كنت قد أزمعتَ صرعى فأجعلني
أغرّك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمرى القلبَ يَفعلُ ؟

وفتتح الحارث بن حَزْزَةَ الْبَشْكَرِيِّ مملّته بقوله في حبيته « أسماء » :
 أَذْنَتَنَا يَبِينَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ نَالٍ يَمَلُّ مِنْهُ النَّوَاهُ
 أَمَا طَرَفُهُ بْنُ الْعَبْدِ ، فقد أكل مملّته مائة بيت ابتدأها بالشوق إلى « خَوْلَةَ »
 محبوبته ، فذكر أطلال ديارها ، ومراكبها التي حملتها بعيداً منه ، ومراكبه التي يعضى عليها
 هائماً مشتاقاً إلى اللقاء ، ومطلع مملّته :

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِرَفَّةٍ مَهْمَدٍ تَلُوحُ كَبَارِقِ الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ
 ويقول عنتره بن شدّاد العبسي في مملّته ، موجّهاً الخطاب إلى عبلة ابنة عمه :
 وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَاخَ نَوَاهِلُ مِني وَبَيْضُ الْهِنْدِ يَقْطُرُ مِنْ دَمِي
 فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنِّي لَمَعْتُ كَبَارِقِ نَفْرِكِ الْمَتَبَسِّمِ
 ويفتتح النّابغة الذّبياني مملّته ، بذكر « مَيَّة » حبيته وديارها التي أقفرت من
 أهلها فيقول :

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ
 أَضَحَّتْ خَلَاً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبَدِ
 ويقول ذو الأصبغ العدواني ، يشكو فراق محبوبته « رِيّاً » :
 يَا مَنْ لِقَلْبٍ طَوِيلُ الْبَثِّ عَزُونَ أَمْسَى نَدَّكَ رِيّاً . . أُمَّ هَارُونَ
 فَقَدْ غَنِينَا وَشَمْلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطْبَعُ رِيّاً ، وَرِيّاً لَا تَعَاصِينِي
 تَرْمِي الْوَسَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَاتِلَهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكْنُونِ
 ويقول السّموءل بن عاديّاء من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل ، ويؤكد أنه لن
 يلتقي عن حبّ صاحبتة مهما يطُلَّ عذله ولومه :

أَعَاذَلَنِي : أَلَا - لَا تَعْدِلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرٍ عَاذَلَهُ عَصِيَتْ
 دَعَيْنِي وَارْشُدِي إِنْ كُنْتُ أَعْوِي وَلَا تَعْوِي - زَعَمْتَ - كَا غَوَيْتُ

أَعَذِلُ : قد أطلت اللومَ حتَّى لو أُنِّي مُنتَهٍ . . . لقد انتَهَيْتُ
وَحَتَّى تَوْ يَكُونُ فَنِي أَنَاسٍ بَكَى مِنْ عَذْلِ عَازِلِهِ ، بَكَيتُ
وأى تعبير عن الحب ، أرقُّ وأعذبُ وأنفذ إلى القلوب قبل الأسماع ، مما عبَّرَ عنه
الشاعر الجاهلي المنخل اليشكري في بساطة محبِّة ، فقال :
وأحبُّها ، وتحبُّني ويحبُّ نافتها بعيري !

وإذا كان هذا هو شأن « الحب عند العرب » في جاهليتهم فلا شك في أن حظهم منه
قد أصبح أوفر ، بعد أن جاء الإسلام فألف بين قلوبهم ، ورقق من طباعهم وسما بهم درجات
في تنظيم العلاقات بين الجنسين . وقرَّر للمرأة حقوقاً لم تكن لها قبله ، وحرَّم البناء .
وأوجب معاينة النساء بالمعروف ، أو منارقتنَّ بالمعروف .

وقد استوصى النبي عليه الصلاة والسلام بالنساء خيراً ، وقرَّر أن « خير متاع الدنيا
للمرأة الصالحة » . وقال : « حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ : النِّسَاءِ وَالطِّبِّ وَفُرَّةُ عَيْنِي
في الصَّلَاةِ » .

وجاء الخلفاء الراشدون ، فنهجوا نهجه ، وأتبعوا سنته . وأصبح معنى الحب مرادفاً
لمعنى العفة والرغبة في استكمال الدين عند المسلمين .

وقد روى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أصاب في زمانه ناساً من
هُذَيْلٍ ، فخرجت جارية منهم ، فاتبها رجلٌ يريدُها عن نفسها ، فرمته بحجر فضضتْ
كبدَه . فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودي أبداً .

كذلك أفتى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - بأن قتيل الهوى لا دية فيه
ولا قصاص .

وفي أخبار الوالي العربي زياد بن أبي سفيان ، أنه قال لجلسائه يوماً : من أنعمُ الناس
عيشة ؟ قالوا : أمير المؤمنين . فقال وأين ما يأتي من قريش ؟ قالوا : إذن أنت . فقال :
وأين ما أتى من الخوارج والثنور ؟ قالوا : فمن أنعمُ الناس عيشة أيها الأمير ؟ فقال :

رجل مسلم ، له زوجة مسلمة ، لها كفاف من العيش . وقد رضيت به ورضى بها ، لا يعرفنا ولا نعرفه .

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله ، من استهلال قصائدهم بالنزل والتشبيب بالنساء .

وروى أن النبيّ - صاوات الله وسلامه عليه - أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي ، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحه فيها واستهلها بقوله :

بَأَنْتَ سَعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ مَتِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفِدْ مَسْكُوبُ
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَغْنَى غَضِيضُ الطَّرْفِ مَسْكُوبُ

وكان الخليفة العباسي هرون الرشيد يقسم أعوام حكمه : عاماً لحج البيت الحرام ، وعاماً للجهاد في سبيل الله . ومع هذا كان يستحسن أشعار النزل ووصف لواجع الحب ، ويميز عليها ويرويها . بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول :

مَلَكُ الثَّلَاثِ الْآنَسَاتُ عَيْنِي وَحَلَلَنِي مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا لِي تَطَاوَعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعَنِي وَهَنِي فِي عَيْنَانِي ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ الضَّعِيفُ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي !

وقد حفل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته ، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور : « من أحب فعمّ فأت ، مات شهيداً » وما زالت قصصهم تضرب مثلاً على الإخلاص والوفاء .

من هؤلاء : جميل بن معمر صاحب بئينة الذي يقول فيها :

وَإِنِّي لِأَرْضِي مِنْ بُئِينَةِ الْبَلَدِ لَوْ أَبْصَرُهُ الْوَائِي لَقَرَّتْ بِلَابِلِهِ
بِ«لَا» ، وَبِأَلَا أَسْتَطِيعُ ، وَبِالْنِي وَبِالْأَمَلِ الْمَرْجُوِّ قَدْ خَابَ أَمَلُهُ
وَبِالنَّظَرِ الْمَجْلَى ، وَبِالْحَوْلِ تَنْقُضِي أَوَاخِرُهُ لَا نَاتِقِي وَأَوَائِلُهُ

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين ، وكما قال في بيت آخر :
أَقْلَبُ طَرَفِي ، فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرَفِي طَرَفَهَا حِينَ يَنْظُرُ
ومنهج جميل وبثينة ، من قبيلة عذرة المشهورة بالشعق والجمال ، وقد تحابَّتا صغيرين ،
فلما كبر خطبها ، فرفض أهلها أن يزوجوها ، ومنعوه رؤيتها ، وهددوه بالقتل فلم يعبأ
بتهديدهم ، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه ، فردَّ عليه قائلاً :

« يَا بَتِّ : هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا قَدَرَ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ قَلْبِهِ هَوَاهُ ، أَوْ مَلَكَ أَنْ يَسْلُبَ نَفْسَهُ .
والله لو قدرت أن أحمو ذكركها من قلبي ، أو أزيل شخصها من عيني ، لفعلتُ . ولكن
لا سبيل إلى ذلك ، وإنما هو بلاء قد بليت به لحين قد أتيج لي . على أني أمتنع عن طروق
هذا الحى والإلمام به ولو ميت كمدًا . وهذا جهدى ومبلغ ما أقدر عليه . وما زال على حبه
لها حتى قضى أسمى ولوعة لفراقها .

ومنهج قيس لبني . وكان قد تزوجها . وسعدا بتبادل الحب حينا ، ثم طلقها نزولاً
على إرادة أبيه . ولم ينفعه الندم بعد ذلك فهام على وجهه ينشد السالوان . ولكنه لم يستطع
صبرا على فراقها ، وظلَّ يذكرها حتى مات .

ومنهج توبة بن الحمير وصاحبتة ليلي الأخيلية ، وفيها يقول :
وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَى وَدُونِي تَرْبَةً وَصَفَاحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ . . زَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاخُ

ومنهج كثير وصاحبتة عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبتة الثريا ، وقيس بن الملوح
مجنون ليلي ، وقيس بن ذريح وصاحبتة لبني ، وعروة بن حزام وعفراء ، وكثير غيرهم
من المشاق العرب في مختلف العصور والبلدان .

ولقد كان صاحب هذا الكتاب ، يمدُّ في طليعة الشهود لهم بالتعمق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من الكتب القيمة في جبهة من هذه الفنون والآداب والعلوم ، آخرها « الموسيقى والنقاء عند العرب » أما هذا الكتاب « الحب والجمال عند العرب » فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخط المؤلف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته . وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مئات الكتب والمخطوطات التي اشتملت عليها مكتبته . وترك جزازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعتمز إضافتها إلى الأصول ، فتولت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أرادته .

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب : أولها في « صفات الحب وأغراضه » . وفيه فصول متفرقة أهمها عن ماهية الحب ومعنى الحب والمحبوب وعشق الشرف وعشق الجمال وأحلام المحبين والحبيب الأول والحبيب الآخر والحب مع اختلاف الدين
والباب الثاني عن « أنواع الحب » وتندرج تحته فصول عن حب الولد وحب الأيامي واليتامي ، وأمثال في الحب ، وحجة بالغة .

والباب الثالث عن « حب الأزواج » وفيه فصول عن زواج النبي من خديجة وحبها له وتقديره لها وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، على اختلاف ألوانه .

والرابع عن « الشعراء العشاق » وما قيل منهم في معشوقاتهم .
والخامس عن « الحب والجمال » وفيه فصول حب امتداح النساء ووصف جمالهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء .

والسادس عن « النزل ووصف النساء » .
والسابع عن « الميون وما قيل فيها » ثراً ونظماً مع رسالة في معاني لفظ « العين » وآفة النظر وغائلته .

والثامن عن « تعدد الزوجات والأزواج » وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام .

والتاسع عن « عداوة النساء » وأن طاعتهن تردى العقلاء وتذلّ الأعراء .
أمّا الباب العاشر فغوى « طرائف عن الحب » وفيه فصول عن المرأة بين الحب والمال
ومن الحب إلى الزهد وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء .
وإنّا لعلّى يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلّها — وقد اجتمعت مفصلة وموضحة
فى هذا الكتاب الجديد — جديرة بأن تجعله — كما أراد مؤلفه العلامة المحقق المنفور له
أحمد تيمور باشا رحمه الله — ذا نفع كبير للأدباء والمتأدين ولقراء المريسة أجمعين ،
والله وَلّى التوفيق .

صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو ؟

قال أبو بكر الورّاق : سأل المؤمن عبد الله بن طاهر ذا الرّاستين عن الحب ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة . فيصور من ذلك خلقٌ حاصرٌ للنفس متصلٌ بخواطرها يسعى الحب .

وسئل حمّاد الزّواوية - عن الحب ما هو ؟ فقال : الحب شجرة أصلها الفكر . وعروقها الذّكر ، وأغصانها السّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها النّية .

وقال معاذ بن سهل : الحب أصعب ما ركب ، وأسكّر ما شرب . وأقطع ما لقى ، وأحلى ما اشتهى ، وأوجع ما بطن ، وأشهى ما علن . وهو كما قال الشاعر :

وللحبّ آفاتٌ إذا هي صرحتْ تبدّتْ علاماتٌ لها غررٌ صُفّرُ
فباطنُهُ سُقمٌ وظاهرُهُ جوى وأوّلُهُ ذِكرٌ وآخرُهُ فِكرُ

وقال بشّار العقيلي :

هل تعلين وراء الحبّ منزلةً تُدني إليك فإنّ الحبّ أقصاني

وقال غيره :

أحبّك حبّاً لو تُحبّين مثلهُ أصابك من وجدي على جنونِ
لطيفاً من الأحشاء ، أمّا نهارُهُ قدَمع ، وأمّا ليلهُ فإنين

وقال النّقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف : الحبّ أوّلُهُ هزلٌ وآخرُهُ جدٌّ . دَقَّتْ معانيه - بجلالاتها - عن أن توصف

فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة . وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة .
إذ القلوب بيد الله عز وجل .

وقد أحب من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير .

وأفتى ابن عباس بأن قتل الحب لا دية له . والحب اتصال بين أجزاء النفوس .
وقال الله عز وجل :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... » .
والحب علامات منها : إيمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه ، والإنصات
إلى حديثه ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار .
ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبه : التعفف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله عز وجل
ورجل قابله معلق بالمسجد إذا خرج منه لا يلت حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله
اجتمعا على ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل تصدق فأخفى حتى
لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

الحب والمحجوب^(١) :

قولهم : أحببت حبا : الحب ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحجوب ،
ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال : ثلاثة أحباب : حب
علاقة ، وحب خلان ، وحب هو القتل .

وكما كان الفعل أعم وأشيع ، لم يكن لذكر مصدره معنى . ولولا كشف الشاعر
لاختلاف أنواع الحب ما كدنا نعرف مافيه من العموم وأنه - في معنى الشغل كما تقدم .

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما :

أَحِبُّ أَبَامِرْوانَ مِنْ أَجْلِ تَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَبَّ بِالرُّءِ أَرْقَى
وَوَاللَّهِ لَوْلَا تَمَرُهُ مَا حَبَّبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل - أتوا بالاسم الرباعي حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا :
حَبٌُّ ولم يقولوا : حَبٌّ أصلاً . وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر
فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : مُحَبٌّ - إلا نادراً كما قال :

وَلَقَدْ نَزَلْتُ فَلَا تَقْظُنِّي غَيْرُهُ مَنَى بِمَنْزِلَةِ الْحَبِّ الْمَكْرَمِ

فهذا من : أُحِبُّت - كما أن المحبوب من : حَبِيتُ ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في :
المحبوب ، أكثر من استعمالهم إياه في الحب ، مع أنه يطلق عليهما .

فمن يحبته بمعنى المفعول قول ابن الدُمَيْنَةِ :

‘ وَإِنَّ الْكَتِيبَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْحَمَى إِلَى وَإِنَّ لَمْ أَنَّهُ لَحَبِيبُ

أى : محبوب . ومن يحبته للفاعل - قول المجنون :

أَتَهَجِرُ كَيْلَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كُلُّ قَفْسٍ بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ

فهذا بمعنى : حُبها . وربما قالوا للحبيب : حَبٌّ : مثل خدن ، نَحْدُنْ وخدينٌ مثل :
حَبٌّ وحبيب . وإذا ثبت هذا فقوله : الحبُّ ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل
بالمحبيب ، وأجروه على الفعل الرباعي استثناءً عن مصدره ، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم
بالحب وألستهم به ، فاستعملوا منه أَحَبَّ المصدرين استثناءً به عن أَقْصَلهما .

فلما كان الحبُّ ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقيماً عليه لا يروم عنه
انتقالاً ولا يبنى عنه زوالاً ، اتخذ له في سويداء قلبه وطناً ، وجعله له سكناً ، حيث
قال :

تَرُولُ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتُ وَقَلْبُهُ عَلَى الْعَهْدِ لَا يَلْوِي وَلَا يَتَنَيَّرُ

وفي شرح لامية المعجم . . للصفدي :
فالحبُّ حيثُ العدا والأسدُ رابضةٌ حول الكِنَاسِ لها غابٌ من الأسر
الحب - بالضم : المحبة ، وبالكسر : الحبيب نفسه . قال ابن الأنباري :
« الحب هو الحبيب . يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد » . ويحكي عن بعض العرب
أنهم يقولون : فلانة حبيبي .

عشق الشرف وعشق الجمال :

قال عروة بن الزبير رحمه الله : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسن شرفها ، فأتى
لأعشق الشرفَ كما أعشيتُ الجمال » .
وإنما أراد الحبس ، وصراحة النسب ، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام :
« ما عشقت من امرأة قط إلا حسنها » .
وقال كثيرُ الشاعر :

وأنت التي حببتِ كلَّ قصيرةٍ إليّ وما تدري بذلك القصارُ
ولم يرد : القصيرة القُد ، وإنما أراد القصورة في الجمال ، من قولك : قصره ، إذا حبسه .
والقصورة هي : المحبوبة . ومنه قول الله تعالى : « حورٌ مقصوراتٌ في الخيام » أي :
محبوسات . وقوله تعالى : « فيهن قاصراتُ الطرفِ » أي : قصرن نظرهن على أزواجهن
فلاینین بهم بدلا .

ويدل على مراد كثير في بيته ، قوله في البيت الذي بعده :
عنيتُ قصيراتِ الجمالِ ولم أردُ قصارَ الخطى ، شر النساء البحاترُ
والبحاترُ : القصار .

أحلام المحبين :

كان أبو القاسم عليّ الشريف الرقي شاعراً عفاً اللسان، يهوى الحُسن أينما وجدّه، وينجو فيه منحنى طاهراً بريئاً. واشتهر بحبّ الجمال المُدرى... وقد عشقَ الأدبَ الرقيق، كما عُمرَ فوقَ الثمانينَ عاماً، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفي سنة ٤٣٦ هـ - ومن شعره :

ضنّ عني بالزّر إذ أنا يقظاً . نأ وأعطى كثيره في المنام
والتقينا كما اشتقنا ولا عيّ . مب سوي أن ذاك في الأحلام
وإذا كانت الملاقاة ليلاً . فالليالي خير من الأيام
وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعراً مثله يتفق معه في هواه وحبه وعيشته
للحُسن والجمال :

بثناً فحيين في ثوبٍ هوَى وتبى . يلفنا الشوق من فرقي إلى قدّم
وبات بارق ذاك النغم يوضح لي . مواقع الأثم في داجر من الظلم

الحبيب الأول والحبيب الآخر :

قال حبيب الطائي :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى . ما الحبُّ إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى . وحينئذ أبداً لأوّل منزل

وقد ردّ عليه شعراء آخرون . فمن ذلك قول بعضهم :

افخر بآخر من كلفت بحبه . لا خير في حبّ الحبيب الأول
أنشك في أن النبيّ محمداً . ساد البرية وهو آخر مرسل ؟

(٢ - الحب والجمال)

ومنه قول ديك الجن الحمصي :

كذب الذين تحدّثوا أنّ الهوى لا شكّ فيه للحبيب الأول
ما لم أحنّ إلى خراب مقبره درست مآلعه كأنّ لم يؤهل

فقال حبيب « حين بلنه قول ديك الجن » :

كذب الذين تحرّصوا في قولهم ما الحبّ إلّا للحبيب الأول
أو طيّب في الطعم ما قد ذقته من ما كلّ أو طعم ما لم يؤكل
قال الملوّ الأصبهاني^(١) :

دع حبّ أول من كلفت بحبه ما قد تولى لا ارتجاع لطيبه
هل غائب اللذات مثل الحاضر؟ إن المشيب وقد وفى بمقامه
أوفى لذى من الشباب النادر دنيالك : يومك دون أمسك فاعتبر
ما الحبّ إلّا للحبيب الآخر ما السالف المفقود مثل النابر

الحب مع اختلاف الدين :

قال أبو الطحان الأسدّي ، وكان نديماً للناس من النصارى :

كأنّ لم يكن في القصر قصر مقاتل وزورة ظلّ ناعم وصديق
معى كلّ فضفاض الثياب كأنّه إذا ما جرى فيه الدام فتيق
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

والشيخ رجب الحريري قصيدة يصف فيها حبه لفتى نصراني يقول فيها :
أرقُّ من رَوْحِ الصَّبَا وَأَطْيَبُ كَلَاءِ جَنَّا بِاللَّحَاطِ يُشْرَبُ
ولفظه السَّخَرُ الحلالُ يطربُ سَكَرْتُ مِنْهُ وَهُوَ شَهِدُ يَعْدُبُ
فأعجب لُشْهَدٍ مُسَكِّرٍ مِنْ سِجَرٍ
قَابَلْتُهُ بِأَحْسَنِ الْكَلَامِ مُرَجَّبًا مُمَطَّأً مَقَامِي
وَوَجْهُهُ الْوَضَّاحُ فِي ابْتِسَامٍ وَخَصَنِي بِاللَّطْفِ وَالْإِكْرَامِ
وَبِالْجَمِيلِ وَالْحَيَا وَالْبَشِيرِ

الحبُّ في كلِّ حال :

قال عنتره العبسيُّ به يصف حبه لعلبة ابنة عمه ، على ظلمها إياه :
أُحِبُّكِ يَاظُلُومُ وَأَنْتِ مَنِي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
وَلَوْ أَتَى أَقُولُ : مَكَانَ رَوْحِي لَخِفْتُ عَلَيْكِ بَادِرَةَ الطَّعَانِ
وقال بعضهم ، في الوداع :
وَدَعَيْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا وَرَحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمٌ
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَيَّ إِذْ رَاخُوا . . فَا سَلَّمُوا
وَاسْتَحْسَنُوا ظُلْمِي فَعِنُ أَجْلِيهِمْ أَحَبُّ قَلْبِي كُلِّ مَنْ يَظْلِمُ
وقال دغبل الخزازي :

وَقِفْ الْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَدِيدَةً حُبًّا لَذَكَرِكَ فَلْيَكُنِي اللَّوَمُ
وَاهْنَتَنِي ، فَأَهْنَتْ نَفْسِي صَاغِرًا مَا مِنْ يَهْوٍ عَلَيْكَ مِمَّنْ يُكْرَمُ

حب النساء المال :

قال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ فِي أَنْسَابِ قُرَيْشٍ ^(١) : كَانَ « نُبَيْهٌ وَأَخُوهُ مِنْبَهٌ » مِنْ وَجْهِ قُرَيْشٍ ، وَذُو النَّبَاهَةِ فِيهِمْ ، وَلَكِنَّهُمَا قُتِلَا « بَيْدَرٌ » كَافِرِينَ ، وَكَانَا مِنَ الطَّعْمَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ .

لَقَدْ كَانَ « نُبَيْهٌ » بَضْمَ النُّونِ وَفَتَحَ الْمُوَحَّدَةَ بِمَدِّهَا « يَاءٌ » سَاكِنَةٌ « فِهَاءٌ » وَكُنْيَتُهُ « أَبُو الزَّرَّامِ » بِتَشْدِيدِ الزَّاءِ الْمَعْجَمَةِ ، ابْنُ الْحِجَّاجِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ حَدَافَةَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنِصَ « بِالتَّصْنِيرِ » بْنُ كَسْبِ بْنِ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ . وَكَانَ نُبَيْهٌ شَاعِرًا مَطْبُوعًا عَلَى الْإِجَادَةِ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ نَفِيلٍ كَانَ يَقُولُ :

تلك عرسائى تنطقان لهجرى وتقولان قول أنثى وعترى

فَقَالَ نُبَيْهٌ مِنَ الْقَافِيَةِ نَفْسَهَا ، فِي زَوْجَتَيْهِ وَقَدْ سَأَلَتْهُ الطَّلَاقُ :

تلك عرسائى تنطقان على عثم يدان اليوم قول زور وهثر
سألتانى الطلاق أن رأنا ما لى قليلا . . قد جثماني ينكرى
فلعللى أب يكتر المال عندي ويمرئى من النادم ظهري
وترئى أعبث لنا وأواقي ومناصيف من خوادم عثمري
ونجبر الأذيال فى نعمة ثم تقولان : ضع عصاك لذهري
وى كان من يكن له نسب يحب ومن يفتقر يعش عيش ضر
ويجب سر النجى ولكن أحا المال محضر كل سر

ومن شعره :

قصر الشيء فى ولو كنت ذاما لكثير لأجلب الناس حولى
ولفألوا : أنت الكريم علينا ولحطوا إلى هواى وملى
ولكى المعروف كيلا هنيئا يُمنجز الناس أن يكيلوا ككيلي

(١) فى خزنة الأدب ج ٣ .

وله أيضاً :

قالت سُلَيْمَى يوم جئتُ أزورها لا أبغى إلا امرأً ذاملاً
لا أبغى إلا امرأً ذا أنفٍ كبا أسدٍ مفارقٍ وخِلالي
فلاحرصنَ على اكتسابِ مُحَبِّبٍ ولا كَسْبَنَ في عَفَّةٍ وجمالٍ

في خلاصة الأثر ج ٢ :

كان الأديب حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن المعروف «بأبن الجزري» الشاعر المشهور الحلبيُّ أحد المجيدين ، جمع شعره بين الصنعة والرِّقَّة . كان إذا تكلم لا يظنه الإنسان يعرف شيئاً ، وكان له خطٌّ نسخيٌّ غايةً في الحُسْن إلا أنه كان شديد الأخلاق أحياناً ، وكان منمرماً بشعر أبي الملاء المرسي ، كثير الأخذ منه ، وأخيراً رآه في منامه وقرأ عليه اللزوميات . وسمعه يقرّر في تلك الرؤيا : أَنَّ الخير كلٌّ الخير فيما أكرهتك النفس الطبيعيةً عليه ، والشرُّ كلُّ الشرِّ فيما أكرهتك النفس عليه .

ومن شعر ابن الجزري :

إن كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتابُ ربِّ المالمين المرهمُ
أو كنت مصطحباً حبيباً سالكاً سُبُلَ الهوى فلزومُ ما لا يلزمُ

ومن شعره في النزول :

ما عشتُ من ألمِ الفراقِ لو لم أُطلْ أَمَلُ التلاقِ
فأظَلَّ كاللسوعِ من ألقى النوى ، ورجاى راقِ
يا ثالثَ القعرينِ إلا في الكسوفِ وفي الحاقِ
حتامٌ دمي فيكَ لا يرقا . . ورؤى في التراقِ
والأمَّ يستسقي النوا دُ ظمًا ، وأجفاني سواقِ

وغريق دمع العين لا
والحب ما أروى الضلوة
فمساك أن تجزي مجية
ولقد لقيت هواك أع
وصبرت فيك على العدا
وعلمت أن الصبر يا
فاعرض عن الإعراض إء
وارفق ولو بالافتنا
فلقد يكون تلفت الأ
واستبق مني باللقا
أعضاء صب ، ماله
فالبعض سود عيونها
وقدودهن رواشق
وإذا بليت بحهن

تلقاه إلا في احتراق
ع جوى ، وما أروى المآق
لك في المحبة بالوفاق
ظم ما لقيت ، وما ألقى
صبر الأسير على الوثاق
عذب اللعى مر العذاق
راضى لديك عن التفاق
ت على ما بين الرفاق
عناق داعية العناق
ء بواقياً ليست بواق
إلاك من عينيكَ واق
أمضى من البيض الرفاق
في الطعن كالسمر الرشاق
بليت بالدمع المراق

ومن جيد شعره قوله :

تفتدأك ساقياً قد كساك ال
تشرق الشمس من يدك ، ومن في
أوليس العجيب كونك بدراً
فتنة أنت إذ تميت وتحي
لست من هذه الخليفة بل أذ

حسُن من فرقك المضي لسائك
لك الثريا ، والبدر من أطواقك
كاملاً ، والمحاق من عشائك
بتلاقيك من تشا ، وفراقك
ت ملكك أرسلت من خلاقك

الحُبُّ خُضُوعُ النَّفْسِ :

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمراة الأهدل
اليميني الحسيني مشهوراً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد رحل
إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثم توطن النخا ، وحصل له بها شأن عظيم ينبطه
عليه صفوة أصحابه وأترابه ، إذ كان له يد طولى في العلوم الشرعية والفنون العربية ، إلا
أنه غلب عليه التصوف ، كما كان متقناً لعلم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، حتى إنه كان
زاهداً في الدنيا ، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض :

قلبي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتَلَفِي عَجَّلَ بِهِ وَلَكَ الْبَقَا ، وَتَصَرَّفِ
قَدْ قُلْتُ حِينَ جَهَلْتَنِي وَعَرَفْتَنِي رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتُ أَمْ لَمْ تَعْرِفْ
أَنْتَ الْفَتِيلُ بِأَيِّ مِنْ أَحْبَبْتَهُ فَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الشَّهَادَةِ يَا وَفِي
ولقد وصفتُ لك النِّرَامَ وَأَهْلَهُ فَاخْتَرْنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصَطَّفِي
وقال خُمَسًا قصيدة ابن النبيه :

رَقِمَ الْمَدُولُ زَخْرَفًا وَتَصَنَعًا وَأَشَاعَ نَقْصَ الْعَهْدِ عَنْكَ وَشَفَعًا
فَأَجَبْتُهُ وَالنَّفْسُ تَقْطُرُ أَدْمَعًا أَفْئِدِهِ إِنْ حَفَظَ الْهَوَى أَوْ ضَيَّعًا
مَلِكَ الْفَوَادِ قَاعَسَى أَنْ أَصْنَعًا

حَكَمَ النَّرَامُ فَلَذُّ بِهِ وَبِحَكْمِهِ وَائْتَبْتُ عَلَى مَفْرُوضٍ وَاجِبَ رِسْمِهِ
وَاخْضَعُ لِمِثَالِ الْحُبِّ فِيهِ وَظَلَمِهِ مَنْ لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ الْحَبِيبِ كَظَلَمِهِ
خُلُوعًا فَقَدْ جَهَلَ الْحُبَّةَ وَادَّعَى

يَا مَنْ بِلُطْفٍ جَمَالِهِ قَلْبِي اخْتَنَصَ صَبْرِي عَلَى الْأَعْتَابِ مِنْ جِلْدِي نَكَصَ
وَبَنَاتُ حُجْلِي حِينَ زَمَزَمْتُ رَقَصَ

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَدَارِكُ الْمَوْتَ بَرَّ الْجَمِيلَ فَقَدْ عَمَّا وَتَضَعُضَا
وَفَرَّتْ مِنْ نَبْلِ الْوَاوَاظِ أَسْهُمِي وَكَلَّمْتُ أَحْشَائِي وَلَمْ أَنْكَلَمْ

وهجرني ظُلماً ولم أنظلم هَلْ في فؤادك رحمةٌ لتتيم
صَمَتَ جوانحه فؤاداً مُوجعاً
إني اعترفتُ بزَلَّتِي وجنائيتي ورضاك مقصودي وغايةُ غايتي
يَا مَنْ سَلَلي فيهِ عَيْنُ هِدَايَتِي هَلْ مِنْ سَبِيلٍ أَنْ أُبْتَ صَبَابَتِي
أَوْ أَشْتَكِي بَأْوَايَ أَوْ أَتَضَرَّعَا ؟
لِي فِي حَمَاكَ مَسَارِحٌ وَمَطَامِحُ كَمْ بَتُّ لِلْفُرْزَانِ فِيهِ أَطَارِحُ
يَا قَلْبُ إِنْ الْيَوْمَ طَيْبِكَ نَارِحُ يَاعَيْنِ عَذْرُكَ أَنْ حُيَ وَاصِحُ
كُلِّي لِفُرْقَتِهِ أَرَادَ وَأَزَمَعَا

أشقى الناس أخواها :

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي ، ولد بحلب ونشأ بها وكان
له مذاكرة تأخذ بلبُّ الصاحب ومحاضرات وترغَّبُ من محاضرات الراغب ، وله شعر
قصير منه قوله :

كُتِبَتْ وَأُنْكَارِي بِحَبِّكَ مُرِّقَتْ كَمَا قَدْ بَدَتْ فِي الْحَبِّ كُلِّ مِمَزِقْ
وَلَوْ حُمَّ لِي التَّوْفِيقُ كُنْتُ تَرَكْتُهُ وَلَكِنِّي أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُوْفِقْ
إِذَا قِيلَ أَشَقَى النَّاسُ مَنْ بَاتَ ذَا هَوَى فَلَا تَنْكُرُنْ هَذَا الْقَالَ وَصَدُقْ
وَقَالَ مَتَنَزَلًا :

سَأَلْتُهَا عَنْ فَوَادِي أَيْنَ مَسْكَنُهُ فَإِنَّهُ ضَلَّ عَنِّي عِنْدَ مَسَرَاهَا
قَالَتْ : لَدَى قُلُوبِ جَمَّةٍ جَمْتُ فَأَيُّهَا أَنْتَ تَبَنَى ؟ قُلْتُ : أَشَقَاهَا

رابعة المدوية :

روى ابن خلكان قصة « رابعة المدوية » شهيدة الحب الإلهي ، قال :
كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل المدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان
عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة .
وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة » أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي .. أتحرقُ
بالتار قلباً يحبك ؟ ... فهتف بها مرة هاتف : ما كنا نفعل هذا فلا تفلتن بنا ظنّ السوء !
وكان سُنيان الثوري عندها يوماً ، فقال : واحزنناه ! فقالت له : « لا تكذب ، بل
قل : واقلة حزناه ! . لو كنت محزوناً لم يهيناً لك أن تنفّس .
وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة المدوية ، فرايتها في المنام تقول : هداياك تأتيك على
أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور .

وكانت تقول : ما ظهر من أعمال فلا أعده شيئاً .

ومن وصاياها : اكنتموا حسنائكم كما تكتمون سيئاتكم .

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي - في كتاب « عوارف المعارف » قولها :
إني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحثُ جسدي من أراد جلوسي
فالجسم متى للجليل مؤانسٌ وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

الحب أحسن المعاصي :

في « لوعة الشاكى ودعة الباكي » لابن الصفي :

اتصف الليل ، وأقبلت عساكرُ السعد بالرجل والخييل ، فأمرت صاحبي برفع الدمام ،
وتجهيز المرقد للنام ، فرفع الأواني في الحال ، وأقبل على ذلك الشان وطال ، وعلق في الرقد
فحات المسك الأنذر ، وأطلق فيه مباخر الند والمبر . ثم قال : أين رسم لي أن أبيت ؟

فقلت : ثم عندنا لكن خارج البيت ، فأنت بمن تحققنا منه الروعة والشفقة ، فخرج عناوردة الباب بالحلقة . ففعل ما أمرناه وخرج ، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج فقلت لمحبوبى : أما تقوم بنا لننام ، وأنتم بتقبيل الثغر واعتناق القوام ، فقال لى : أقوم ولكن المذاق حرام ، فقلت : فى عنق تكون الأوزار والآثام :

فقام ينهضُ والصَّهْبَاءُ تُقْعِدُهُ سُكْرًا وحاول أن يسعى فلم يُطِقِ
وقال لى بفتورٍ من لوحظه إن المذاق حرام قلتُ : فى عنق
فقال : استغفر الله من الفجور والناظر ، ومن وقوعك أيها الإنسان فى اللط .

فقلت : لا تظن أن عبتك من الماصى والسيئات ، واعلم أن هوالك من أفضل الفضائل وأحسن القربات .

أستغفرُ اللهَ إلَّا مِنْ مَحَبَّتِكُمْ فإنها حسناى يوم ألقاهُ
فإن زعمتم بأن الحبَّ مَعْصِيَةٌ فالحبُّ أَحْسَنُ ما يُعْصَى به اللهُ

الهوى قدرٌ :

أخبرنا أبو الحسن على بن سليمان الأخفش . قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّدُ
قال : سألت أبا الفضل الرياشى عن معنى قول الشاعر :

الريح تبكى شجوها والبرقُ يلمعُ فى التَّمَامَةِ

فقال : هو عندى كقولهم : ويل للشجى من الخلى . ومعناه : إن البرقَ يضيحك والريح تبكى .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكى شجوها ، والبرق يبكى أيضاً وهو يلمع فى التمامة .

وأنشدنا أبو بكر الأصبهاني لنفسه :

إِلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَىٰ أُرْوِيَتْ مِنْ ظِلْمًا
لَقَدْ دَلَّتْ عَلَى أَنْ الْهَوَىٰ بَدَلُ
فَحَسَبُ نَفْسِي غَيًّا عَلِمِي بِمَوْضِعِهَا
وَأَنْتَ خَالِي وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتُ
إِنِّي وَغَلَّةُ نَفْسِي فِيكَ قَائِمَةٌ
وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارِي لِي فَأَتْرَكُهُ
لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُتَمَنِّعٌ
لَنْ يَضْبُطَ الْعَقْلَ إِلَّا مَنْ يَذُبُّهُ
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَابْقَ لِي أَبَدًا
وَأُنْشِدُنَا لِنَفْسِهِ فِي مِثْلِ هَذَا :

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَا تُجَاوَزِي
فَالَى أَهْوَى الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا
عَدْتُ سَنِينَ أَسْتَخْفِي التَّصَابِي
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّاهِرِ حَتَّى
تَبْغُضَ مَا اسْتَطَعْتَ وَعَشْ سَلِيمًا
وَتَسْلُكَ فِي الْهَوَىٰ سَنًّا سَوِيًّا
عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ أَكْرَمُهُمْ عَلَيَّا ؟
وَلَا أَرْضَى مِنَ الْوَصْلِ الرِّضِيَّا
خَسِيسْتُ عَنْ أَنْ أَحْيِي أَوْ أَحْيَا
فَأَنْتَ أَحَبُّ خَلْقِي إِلَيَّا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ النَّادِي لَطِيفِيهِ
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدِ الْمِ بِهَمِّ
حَسْبِي رِضَاؤُهُ ، وَأَنْىَ فِي مَحَبَّتِهِ
وَأُنْشِدُ سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ لِأَخِيهِ :

أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدَةٌ لِقَلْبِهِ
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ قَلْبُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ
هُوَ النَّصْلُ ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

أنواع الحب

ضروب المحبة^(١) :

المحبة ضروب: أفضلها محبة المتحايين في الله ، ثم محبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب . ومحبة التصاحب والعرفة . ومحبة البر يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحايين لسيّر يجتمعان عليه ويلزمهما ستره . ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس .

حب الولد^(٢) :

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : ثمار قلوبنا ، وعمار ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسما ظليلة . فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمتحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فعملوا حياتك ، ومحبوها وفاتك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت على وإني لملوء غضباً على يزيد ، فسللته من قلبي .

فلما خرج الأحنف من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

وكان عبدالله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب ، حتى لامه الناس فيه فقال : يلوموني في سالم ، وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالم وقال : إن ابني سالماً ، ليحب الله حباً لو لم يخف مآصاه .

(١) في كتاب طوط الحماة في الألفة والألاف لابن حزم (٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ .

وكان يحيى بن النعمان يذهب بولده داودَ كلَّ مذهبٍ حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عبدُ الله ، ثم كان علقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم أنت يا داود .
وقال : تزوجتُ أم داود ، فما كان عندنا شيءٌ أُلِّفَ فيه حتى اشتريتُ له شِكوَّةَ يدانٍ .

وقال زيد بن عليٍّ لابنه : يا بني ، إن الله لم يرْضَكَ لي فأوصاك بي ، ورضيتُ لكَ فخرَنيك ، واعلم أنَّ خَيْرَ الآباءِ للأبناءِ من لم يدعُ التَّدليلُ إلى التفريط ، وخَيْرَ الأبناءِ للآباءِ من لم يدعُ التَّقصيرُ إلى المُغفوق .

وفي الحديث المرفوع : « ریحُ الولدِ من ریحِ الجنة » . وفيه أيضاً : الأولادُ من ریحانِ الله .

وقال النبي صلي الله عليه وسلم ، لما بُشِّرَ فاطمة : « رِيحانةُ أشمها ورزقها على الله » .

ودخل عمرو بن العاص ، على معاويةَ وبين يديه بنته عائشة . فقال : من هذه ؟ قال : هذه نفاحةُ القلب . فقال له : انبذها عنك ، فوالله إنهنَّ ليلدنَّ الأعداءَ ، ويُقرنَ البُعداءَ ، ويورثنَ الضعائِنَ .

فقال له معاوية : لا تغلِ ذاك يا عمرو : فوالله ما مَرَضَ المرضى ، ولا نَدَبَ الموتى ، ولا أغانٍ على الأحزانِ مثلهنَّ . وربَّ ابنٍ أختٌ قد تنفعُ خاله .

وقال المَلِي الطائي :

لَوْلَا بُتِّيَّاتُ كَزُغْبِ القَطَا يَرُدُّنَ مِنْ بَقْضٍ إِلَى بَقْضٍ
لَكَانَ لِي مُصْطَرَبٌ وَاسِعٌ . فِي الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا يَبْنِنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ
وكانت فاطمة بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم ، تُرَقِّصُ الحُسَيْنَ بن عليٍّ رضي الله
عنهما وتقول :

إِنَّ بُنَى شَبْهُ النَّسِيِّ لَيْسَ شَبِهَا بِمَلِيٍّ

وكان الرُّبَيْرُ بينَ العَوَامِ يُرَقِّصُ عُرْوَةَ ابْنه ويقول :
أَبْيَضُ مِنْ آلِ أَبِي عَتِيقٍ مُبَارَكٌ مِنْ وَلَدِ الصَّدِيقِ
التُّدُهُ كَمَا أَلَدُ رَبِيقِ

وقال أعرابيٌّ يرقصُ وَلَدَهُ :
أَعْرِفُ مِنْهُ قِلَّةَ النُّعَامِ وَخِفَةَ مِنْ رَأْسِهِ فِي رَامِي
وقال عبد الملك : أَضْرَبْنَا فِي الْوَلَدِ حُبْنًا لَهُ ، فَلَمْ نُوَدِّبْهُ ، وَكَأَنَّ الْوَلَدَ أَذْبَنًا (١) .

* * *

حبُّ الأياشي واليتامي :

من بديع أخبار الحكم أن العباسَ الشاعرَ توجَّهَ إلى الثَّغَرِ ، فلما نزل بوادي الحجارة ،
سمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حَكَمَ ، لقد أهملتنا حتَّى كَلَبَ الدَّوُّ عَلَيْنَا فَأَيْمَنَّا
وَأَيْتَمَنَّا . فسألها عن شأنها . فقالت : كنتُ مُعْبِلَةً مِنَ الْبَادِيَةِ فِي رِقَّةٍ ، ففُجِرَتْ عَلَيْنَا خَيْلُ
عَدُوٍّ فَقَتَلَتْ وَأَسَرَتْ ، فَصَنَعَ قَصِيدَتَهُ أَتَى أَوَّلُهَا :

تَعَلَّمْتُ فِي وَادِي الْحِجَارَةِ مُسْنِدًا أَرَاغِي نَجُومًا مَا يَرِينُ تَغْيَرًا
إِلَيْكَ أبا العاصي نَضِيتُ مَطِيئِي نَسِيرَ بِهِمْ سَارِيَا وَمُهَجَّرَا
تَدَارَكُ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بُنْصَرَةً فَإِنَّكَ أَحْرَى أَنْ تُنْفِثَ وَتَنْصُرَا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوفَ الثَّغَرِ واستصراخَ المرأة باسمه ،
فأنفَ ونادى في الحَيْنِ بِالْجِهَادِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، ففُجِرَ بَعْدَ ثَلَاثٍ إِلَى وَادِي الْحِجَارَةِ ، ومعه
الشاعر . وسأل عن الخيل التي أغارت من أَىِّ أَرْضِ الدَّوِّ كَانَتْ ؟ فَأَعْلِمَ بِذَلِكَ ، ففزا
تِلْكَ النَّاحِيَةَ ، وَأَتَمَّخَنَ فِيهَا ، وَفَتَحَ الْحِصُونَ وَالْدِّيَارَ ، وَقَتَلَ مِنَ الدَّوِّ عَدَدًا كَثِيرًا . وجاء
إلى الوادِي فأمر بإحضار المرأة ، وَجَمِيعَ مَنْ أُسِرَ لَهُ أَحَدٌ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ

(١) يبريد بالوليد ابنه « الوليد بن عبد الملك » . (٢) في فتح الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

وقاب الأسرى بحضرتهم ، وقال للعباس : سلها هل أغلها الحکم ؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة : والله لقد شق الصدور ، وأنكى العدو ، وأغاث الملهوف ، فأغاثه الله وأعز نصره .

فارتاح لقولها ، وبدأ السرور في وجهه وقال :

الم تر يا عباس أني أجبتُها على البعد اقتاد المجيس المظفر
فأدركت أوطاراً . وأبردت غلة ونفست مكرُوباً وأغنيت مُعسراً
فقبل عباس يده وقال : نعم ، جزاك الله خيراً عن المسلمين .

* * *

أمثال في الحب^(١)

قول لسان الدين الخطيب :

أصناف الحبين والمشاق كثير ، بحيث يشق إحصاؤهم ، ولا يثاق استقصاؤهم . كما أورد
أبياتاً من قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي يقول فيها :

تسأليني : من أنت ؟ وهى عليمة وهل بفتى مثلى على حاله نكرو
فقلت كما شئت وشاء لها الهوى قتيلك ، قالت : أيهم فهم كثر ؟
وفي هذا تنبه النفوس الصعبة ، على حكم المحبة ، « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة » .

ثم قال المؤلف : « وهذه حكم تجري مجرى الأمثال : المحبة بحرٌ بعيد الشط ، والفناء
منتهى الخط . المحبة مهوى من بعيد ، وجمال وعيد وعيد .
المحبة ظهر لا يركبه من يرى الموت فيتنكبهُ . كم قصعت المحبة من ظهر ، وكم سير
صوت إلى قبره .

(١) في فتح الطيب ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب .

حجة بالغة :

قال ابن السبكي رحمه الله تعالى :

قالتُ : أَلَا لَا تَلِجَنَّ دَارَنَا	إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَايِرُ
قُلْتُ : فَإِنِّي حَاضِرٌ . . زَائِرٌ	وَلَا يُلَامُ الزَّائِرُ الْحَاضِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّيْثَ عَادِ بَنَا	قُلْتُ : فَسَيَفِي مَرْهَفُ بَارِ
قالتُ : فَإِنَّ الْقَصْرَ مِنْ دُونِنَا	قُلْتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ طَائِرُ
قالتُ : فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ بَيْنِنَا	قُلْتُ : فَإِنِّي سَابِغُ مَاهَرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِنَا	قالتُ : نَعَمْ ، وَهُوَ لَنَا غَافِرُ
قالتُ : فَحَوِّلِي إِخْوَةَ سَبْعَةٍ	قُلْتُ : فَإِنِّي كَهْمُ حَازِرُ
قالتُ : لَقَدْ أَعْيَيْنَا حُجَّةً	فَأَتِ إِذَا مَا هَجَعَ السَّائِرُ
وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسَقُوطِ النَّدَى	لَيْلَةً لَا نَاهٍ وَلَا أَمِيرُ

حب الأزواج

زواج النبي من خديجة^(١) :

قال صاحب كتاب « سنا المهتدى »

أهل السيرة يختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم مشى هو وعمه حمزة بن عبدالمطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك . وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد . قال البرد : وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان مما قال فى تلك الخطبة : « أما بعد ، فإن محمداً بمن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به مرفأً ونبلأً وفضلاً وعقلأً ، وإن كان فى السالِ قِل ، فإن المال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » . فقال عمرو : هو الفحل لا يقرع أنه ، فأنكحها منه . ويقال : قاله ورقة بن نوفل . والذى قاله البرد هو الصحيح لما رواه الطبرى عن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، وعن عائشة . قال : إن عمرو بن أسد هو الذى أنكح ابنة أخيه خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن خويلدأً هلك قبل ذلك .

وذكر الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذى كان يتجر معه فى مال خديجة : هلم - فلنتحدث عند خديجة ، وكانت تكرمهما ، فلما قاما من عندها ، جاءته جورية لها وقالت له : جئت خاطباً يا جد ؟ قال : كلاً . فقالت : ولم ؟ فوالله ما فى قريش امرأة وإن كانت خديجة - إلا تراك كفواً لها . فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطباً لخديجة مُستَحْيياً منها .

حب خديجة للنبي وتقديره لها :

لقد من الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه : « يحبهم ويحبونه ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، لو أنفقت مافي الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

وقد شامت إرادة الله أن ينشأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نشأة كريمة طاهرة ، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة ، والبعد عن صنائر الأمور ، فاشتهر بالصادق الأمين . وقد سمعت خديجة وهي سيدة من نساء العرب به ، ورغبت في أن يتجر بها لها فكان نم التاجر الصدوق المؤتمن ، وربحت التجارة كثيرا ، لما اتصف به عليه الصلاة والسلام من خلق عظيم ، وقلب رؤوف رحيم .

وكان يصحبه خادمها « ميسرة » . . . الذي شاهد مشاهد من طيب الخلال ، والصدق في الأقوال ، والإخلاص في الأعمال . وقص الخادم على سيده ذلك . ومن ثم آنست في سيدنا محمد صفات كمال الرجال ، فعرضت عليه أن يتزوج بها ، فوافق شاكراً راضياً . ولقد كان يحفظها أكبر سادة الرب وجلّة ساستهم فلم ترض بواحد منهم .

وكانت على جانب عالٍ من الساحة وجمال الخلق والخلق معاً ، وكان هو صلوات الله عليه وسلامه ، يبلغ الخامسة والعشرين ، وتكبره بخمسة عشر ربيعاً . وصادف هذا الزواج المبارك ، بل حاله التوفيق واليمن ، فكانت نم الزوجة الحبيبة الوفية الأمانة المخلصة .

وبينا كان يتحدث في غار ثور ، نأبأ عما كان عليه شباب العرب ، حان ظهور جبريل عليه السلام لأول مرة ، وقال له : اقرأ . فأجابه النبي : ما أنا بقارى . فضمّه إليه ثم أرسله ، وأعاد عليه أخرى . وفي الثالثة : نزلت السورة :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول : « زماونى » وسرد عليها روايته ، فهذات روعه بمد أن اختبرت حالته ، إذ خشيت عليه سوءا فقالت : والله لن يمزيك الله أبداً .

السيدة سكينة بنت الحسين :

كانت سكينةُ بنتَ الحُسينِ ^(١) سيدة نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وتزوجها مصعبُ بنُ الزُّبيرِ - فمات عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، فولدت له قريناً ، ثم تزوجها الأصمعي بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل النخول . ثم تزوجها زيدُ بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يدخلَ معها غيرها من النساء ، فلم يَسْمَعْهُ إِلَّا الإذعانُ لأمر سُكَيْمَانَ . ولاعتبار ضعف إرادته باتصاله بتيرها من الجوارى صارت طالقةً . فطلَّقَهَا ..

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا . وقيل أيضاً إن الطَّرْفةَ السُّكَيْنِيَّةَ منسوبة إليها . ولها نوادرٌ وحكاياتٌ ظريفةٌ مع الشعراء وغيرهم . من ذلك ما يُروى من أنَّها ناظرتُ عُرْوَةَ بنَ أَدِيْنَةَ - من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله أشعار راقية ، فقالت له :
أنت القائل :

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحَبِّ فِي كَبْدِي ذَهَبْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْمَاءِ أَهْ بَرْدُ
هَبْنِي يَرْدْتُ بِبَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرِهِ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ ؟

فقال لها : نعم - فقالت : وأنت القائل :

قَالَتْ وَأَبْثَنُهَا سَرَّى وَبُحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تَحِبُّ السَّيْرَ فَاسْتَبْرِ
أَلَسْتُ تُبْصِرُ مِنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا غَطَّى هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصَرِي

والسيدة سكينة ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، كانت أمها الرِّبَاب بنت امرئ القيس الكلبية . وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرته - فمات - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزُّبير فولدت له ابنة فأرسل إليها : معها زبراً ، قالت : أمتيها باسمي إحدى أمهاتي ، فسمتها خديجة أو فاطمة . فماتت ابنتها من مصعب ورحل إلى العراق فقتل عنها .

وخطب سكينه عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : والله لا أزوجه منه أبداً وقد قتل ابن أختي - تعني مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين ، وحكياً ، وابنة . ويقال ابنتين . فمات عنها ، فتزوجها الأصمعي بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم نفرق في الصداق ، طلقها . فطلقها ، فقال أيمن بن خريم :

نكحت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فانت الرابع

إن البقيع إذا تتابع زرعه خاب البقيع وخاب فيه الزارع

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان - فأصدقها صداقاً كثيراً واشترطت عليه ألا يمسي لها أمراً ولا ينيرها ، ولا ينعشها شيئاً ربه ، ولا يمنع أحداً يدخل إليها ، وأن يقيمها حيث رغبتها ، فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية ، وعندك أمثال المها . وأنا أعلم أنك لا تصبر ، وأنت قد وطئت بعضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها ، وقد حرمت عليك سكينه . فطلقها زيد ، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم ابن هشام ، فقال له : اطلق فأدخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف شرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا يتخطب - فقالت لها مولاتها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكروننا . فأجابتها : أما والله لأجعلن لهم حديثاً . وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له : كيف أنت إن تزوجتك ؟ قال تجدينني خير الناس .

وكانت ظريفة عفيفة ، وأدبية فصيحة ، فوق ما امتازت به من إفراق الحياء ، وصحابة الخلق ، وملاحة الخلق . فقيل لها : يا سكينه ، أخذك فاسكة وأنت مزاحة قالت : إنكم سميتوها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتوني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام^(١) .

(١) أختها فاطمة بنت الحسين ، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء ، وسميت سكينه بنت الحسين باسم أئمة جدتها أم الرسول صلوات الله وأزكى سلامه عليه .

ولقد شبّب الفرزدق بها ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه والياً على المدينة فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير في ذلك :

نَفَاكَ الْأَعْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحَقِّكَ تُنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ

وطافت سكيّنة بنت الحسين - رضى الله عنها - فلما انتهت إلى الركن اليماني أُعيت في أوّل طواف ، ونظر إليها العرجي ، فقال :

يَقْمُدَنَّ فِي التَّطَوُّافِ آوَةٌ وَيَطْفَنَ أَحْيَانًا عَلَى قَتَرِ

حَتَّى اسْتَلَمَنَ الرُّكْنَ فِي أَنْفٍ مِنْ لَيْلَيْنٍ يَطْلَنَ فِي الْأَذْرِ

فَفَرَفَنَ فِي سَبْعٍ وَقَدْ جِهَدَتْ أَحْشَاؤُهُنَّ مَوَائِلَ الْخُمْرِ

فسمعت شعره امرأة ووصفته لها ، فحفظت الشعر ، وقالت : « لو أن الرجال طُفِنَ سَبْعًا لجهدت أحشأؤهن » .

وكانت سكيّنة - رضى الله عنها - على جانب وافر من اللّلال الطيّبة فوق ما امتازت به من كرم المحمّد ، ودماثة الطبع والجمال .

عاتكة بنت زيد :

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة . فأحبّها ، فكان ربّما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها ، لما اتصفت به من حسن الصورة ومباحة الخلق . وكانت عبلة الجسم ، مكتنزة اللحم ، على قسط وفير من العلم والأدب ، والمعرفة بالشعر ، ممّا دعا عبد الله إلى الانشغال بها . فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها قائلاً له : قد فتنتك عن دينك ، وشغلتك عن معيشتك ، فطلقها وقال :

وَلَمْ أَرْ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا
وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جَرَمٍ تَطَلَّقُ
لَهَا خُلُقٌ سَمِيحٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصَبٌ
وَخَلَقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمَصْدُقُ
أَعَانِكَ ، لَا أُنَاسِكُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
وَمَا نَاحَ قَرِيئُ الْحِمَامِ الطَّوْقُ

أَعَانِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا حَجَّ رَاكِبٌ وَمَا لَاحَ نَجِيمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلِّقٌ
أَعَانِكَ ، قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَخْفِي النُّفُوسَ مَعْلِقٌ
وَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ فِي حَقِّ وَالِدٍ وَطَاعَتُهُ مَا كَانَ مِنَّا التَّفَرُّقُ
فَبَلَغَ أَبَا بَكْرٍ شَعْرَهُ فَأَمَرَهُ فَرَاغَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ شَهِيداً ، أَصَابَهُ سَهْمٌ
فِي حِصَارِ الطَّائِفِ فَانْتَقَضَ بِهِ جَرْحُهُ فَمَاتَ ، فَقَالَ لِمَا نَكَلَّ حِينَ احْتَضَرَ : لَكَ حَدِيقَةٌ مِنْ مَالِي
وَلَا تَزُوجِي . قَبِلْتَ ذَلِكَ . وَقَالَ حِينَ رَاجَعَهَا :

أَعَانِكَ ، قَدْ طَلَقْتَ عَنِّي بُعْصَةً وَرَاجَعْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَأَنُّ
كَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ غَايٍ وَرَاحٌ عَلَى النَّاسِ فِيهِ الْفَقَةُ وَتَبَايُنُ
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِراً وَقَلْبِي لِمَا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنُ
أَعَانِكَ إِنِّي لَا أَرَى فِيكَ سَقَطَةً وَإِنَّكَ قَدْ حَلَّتْ عَلَيْكَ الْحَاسِنُ
وَإِنَّكَ مِمَّا زَيْنَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَلَيْسَ لِمَا قَدْ زَيْنَ اللَّهُ شَائِنُ
فَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ وَتَرَكَ سَبْعَةَ ذُنَابِرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ أَلَّ اللَّهُ ، كَيْفَ يَصْبِرُ ابْنِي عَلَى سَبْعِ
كَيْتَاتٍ ^(١) فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ تَرْثِيهِ :

فُجِعْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا كَانَ قَصِيراً
فَأَلَيْتُ لَا تَنفَكَّ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبِراً
مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَةُ أَيْكَةٍ وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُنَوَّرَا
فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَ وَأَحْمَى فِي الْجِهَادِ وَأَصْبَرَا
إِذَا شَرَعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرُّمَحَ أَحْمَرَا
ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ خَاطَبَني عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي
مَا لَا أَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى التَّزْوِجِ . فَقَالَ : اسْتَغْفِرِي ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَاسْتَفْتَتْهُ فَقَالَ
رُدِّي عَلَيْهِمْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْهُمْ وَتَزَوَّجِي . فَرَدَّتْ الْحَدِيقَةَ ، فَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ —

(١) يعني بذلك جزاءه على ما أكتنزه من الذنابير * يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم ... »

فلما دخل بها أولم ، فدنا على رضى الله عنه من خدرها وقال :
فأليت لا تنفك عيني سحينة عليك ولا ينفك جلدى أغبراً
فبككت ، فقال عمر : ما أردت إلا أن تُفسد علينا أهلنا .

ويقال : قال هذه القالة عبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قُتل عمر قالت :
وفجعتني فيروز لادر دُرهُ بأبيض تالي للقران منيب
روؤف على الأذنى غليظ على العدا أخى قمة في النابات نجيب
متى ما يُل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب
وقالت :

عين جودي بمبرة ونحيب لا تعل على الإمام النجيب
فجعتني النون بالنارس الله دم يوم المياج والتذيب (١)
عصمة الناس والمئين على الله ر وغيث المُنْتَاب والمحروب
قُل لأهل الضراء والبأس : موتوا قد سقته النون كأس شُوب

نخطبها طلحة بن عبيد الله ، فشى في أمرها هبار بن الأسود ، فأفسد عليه ، وفزّجها
الزبير بن العوام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد ، فقالت : أُنْهاني عن الخروج إلى
الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » فأعرض عن
ذلك أياماً ، ثم قعد لها في طريقها ليلاً ، فلما مرّت به ضرب عَجِزَها بيده . وكانت عظيمة
المعجزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة إنّا لله . وترك الخروج ،
فقتل لها الزبير : مالك تركت الصلاة في المسجد ؟ فقالت : قد فسّد الناسُ أبا عبد الله .
فقتل عنها ، فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير مُعَرِّد
يا عمرو لو نهته لوجدته لاطأنا رعي الجنان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت مُسليماً حلت عليك عقوبة المُتعمد

(١) إكثار الذب والدفع . وفي الأغاني للبيد .

ثم خطبها على بن أبي طالب رضى الله عنه فقالت : إني أشفقُ عليك من القتل ،
لم أتزوج رجلاً إلا قُتل ، فتزوجها محمد بن أبي بكر فخرجت معه إلى مصر ، فقتل ومثّل به ،
فقالت :

لَئِنْ قُتِلْتُمْ أَوْ تَمَثَّلُوا بِمَحْمَدٍ فَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ وَلَا الْخَمْرِ^(١)
فتزوجها عمرو بن العاص .

وروى أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا تمتنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد » فقال ابن له :
لَا تَدَّعِيَنَّ يَحْرُجَنَّ فَيَتَّخِذَنَّهُ دَعَلًا . فزجره وقال له : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم ثم تقول : لَا تَدَّعِيَنَّ ؟ !

وذكر أبو بكر الخرائطى رحمه الله فى كتاب « اعتلال القلوب » قال : كانت عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند الزبير بن العوام رضى الله عنهما - فاستأذنته فى الخروج إلى المسجد ، فشق عليه ذلك وكره أن يمنعها . فأذن لها ، ثم انكبن لها فى موضع مظلم من الطريق ، فلما مرّت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فكسرت راجعة وسبقها الزبير إلى الدار ، فلما دخلت عليه تسبح ، قال لها : ماردك عن وجهك ؟ قالت : كنا نخرج والناس ناس ، وأما اليوم فلا ، وترك طلب المسجد .

زواج امرئ القيس :

نقل الجرجاني فى كتاب « الكنايات » عن كتاب « الأغاني » لأبى الفرج الأصبهاني ، أن عبد الملك بن عمير قال : آلى امرؤ القيس بن حجر ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن « ثمانية وأربعة والذين » فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهن عن هذا قلن : أربعة عشر . فبينما هو فى جوف الليل إذا هو برجل - معه ابنة صغيرة له كأنها البدر لمتها ، فأعجبته فقال لها :

(١) يقال : مثل به . مثل مثلاً ، مثل : قتل يقتل قتلاً ، ومثل به تمثيلاً : إذا نكل به .

يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ قالت : أما ثمانية فأطبأ السكبة ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما اثنان فتدبا المرأة . فخطبها من أبيها ، فزوجه إياها وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فأجابها موافقاً ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ثم إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نحياً من سمن ، ونحياً من غسل ، وحلة من قصب ، فنزل العبد في بعض المياه فنشر الحلة فلبسها ، ثم أتاها - وهى خلوفاً - فسألها عن أبيها وأُمِّها وأخيها ، ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أى ذهب تشق النفس نفسين ، وأن أخى يراعى الشمس ، وأن سماء كم انشقت ، وأن وعاء كم نضب . فقَدِمَ النلام على مولاه فأخبره ، فقال : أما قولها ذهب يبعد قريباً ويقرب بعيداً فإن أباهما ذهب يخالف على قومه ، وأما قولها ذهبت تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقابل نساء ، وأما قولها أخى يراعى الشمس فإن أخاهما فى سرح له يرعاه ، وأما قولها : إن سماء كم انشقت فإن البرد الذى بعثت به انشق ، وقولها : إن وعاء كم نضب فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا . فاصدقنى ، فقصَّ عليه النلام القصة .

ثم إن امرأ القيس ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه النلام ، فقام النلام يسقى الإبل ، فعيَّزَ عنها ، فأعانه امرؤ القيس . فرمى به النلام فى البئر ، وخرج حتى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاءك زوجك . فقالت : والله لا أدرى أزوجى أم لا ؟ . ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا وأكل ، ثم قالت : اسقوه لبناً خائراً أى حامضاً - فشرب فقالت : افرشوا له عند الثرى والدم ، فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك فقال : سلينى عما شئت . فقالت : هم يحتلج شفتاك ؟ فقال : لتقبيل إياك . قالت : هم يحتلج فؤادك ؟ فقال : لتوركي إياك . قالت : عليكم فشدوه وثاقاً ، ففعلوا .

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر ، فرجع إلى حبيته وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله لا أدرى أزوجى أم لا ؟ ولكن

انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك - قال : فأين الكبدُ والسنامُ واللحى ؟ ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خائراً . فأتى به ، فأبى أن يشربه وقال : أين الضرب والريبة ؟ ! فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام . وقال : افرشوا لى على القلعة الحمراء ، واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلمَّ شَرَطَى عليك فى المسائل الثلاث ، فأرسل إليها : أن سلى عمّا شئت . فأرسلت إليه : ممَّ يختلج شفتاك ؟ قال : لشرب الشعشعات . قالت : فمِمَّ يختلج كَشْحَاك ؟ قال : للبسى المخبرات . قالت : فمِمَّ يختلج نَفْذَاك ؟ قال : لركوبى المظلمات . قالت : هذا زوجى لعمرى فليسكنكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه .

ودخل امرؤ القيس بالجارية التى أحبها حين رآها ، فأنجب بجمالها ، وسألها ، فكان جوابها شافياً .

وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبة له .

ولاء أم عقبة لابن عمها غسان :

كانت أم عقبة ، وهى امرأة من بنى يَشْكُر - عند ابن عمِّ لها يقال له : غسان ، ولما شعر بدنو أجله أو قرب موته سألها عما تصنع بعده قائلاً :

أخبرى بالذى تريدن بعدى والذى تضمينن يا أمَّ عقبة
تَحْفَظِينَ من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلق وصحبه
أم تريدن ذا جمال ومال ؟ وأنا فى التراب فى سجن غربة
فقالت : والله لا أجيبك بكذب ، ولأجملنه آخر حظى منك ، وأنشدته :

قد سمعت الذى تقول وما قد يابن عمى تخاف من أمَّ عقبة
أنا من أحفظ الوداد وأرعا هُ لما قد أوليت من حُسن صحبه
سوف أبكيك ما حييتُ بنوح ومرث أقولها أو بندبة

فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو سر ، فارعى لى حقّ حُسن الوفاء
إننى قدر جوت أن تحفظى المهد د ، فكونى إذا مث عند الرجاء

زواج حاتم الطائي^(١) :

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال : أخبرنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى ، عن عمّه ،
وأبو حاتم عن أبى عُبيدة . قال :

كانت امرأة من العرب ، ذات جمال وكال وحسب مال ، قد آلت أن لا تزوج نفسها
إلا كريماً ، ولئن خطبها لئيم لتجدعن أُنْفه ، فتحاماها الرجال ، حتّى اتدب لها زيد
الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون ، فارتحلوا إليها ، فلمّا دخلوا
عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ، فما الذى جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا زواراً وخطاباً .
قالت : أ كفاء كرام . فأنزلتهم ، وفرقت بينهم ، وأسبنت لهم القريّ وزادت فيه .

فلما كان اليوم الثانى بمث بعض جواريتها متنكّرة فى زى سائلة ، تعرّض لهم ،
فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كلّ واحدٍ منهما ، فلمّا صارت إلى رجل حاتم دفع إليها
جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث ، دخلوا عليها فقالت : ليصف كلّ واحدٍ منكم نفسه فى شعره
فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هلاً سألتِ بَني نَهانَ ما حَسَبِي عند الطعانِ إذا ما امرأتِ الحَدَقُ
وجاءت الخليل مُحمّراً بَوادِرُها بالاء يسفح عن لَبائِها المَلَقُ

(١) فى أمالى الزجلجى .

والخيلُ تعلمُ أنى كنتُ فارسها والجارُ يعلمُ أنى الوابلُ القَدَقُ
هذا الثناء ، فإن ترَضَى فراضيةً أو تسَخَطى فإلى من تطفُ الثَنُ
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أنا أكرمُ أحساباً وأعهرُ أفعالاً من أن نصف
أنفسنا لك ، أنا الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لامٍ ليَقْضَى حَاجَتى فيمن قضاها
فما وطئُ الحصا مثل ابنِ سَعْدَى ولا لبسُ النعال ولا احتذاها
وأنا الذى عَقَّتْ عَقِيْقَتَه فأعْتَقَتْ عن كل شعرة منها نسمة ، وأنشأ يقول :

فإن تنكحني ماوية الخير حاتماً فما مثلهُ فينا ولا فى الأعاجم
فَتَى لا يزال الدهرُ أكبرَ همِّه فكأنَّ أسير أو معونة غلام
وإن تنكحني زيداَ ففارس قومه إذا الحربُ يوماً أقعدتْ كلَّ قائم
وإن تنكحني تنكحني غير فاجرٍ ولا جارفٍ جرفَ العشرة هادم
ولا مُتَّقٍ يوماً إذا الحربُ سَمَتْ بأنفسها تفسى كفعل الأشايم
وإن طارِقُ الأضيافِ لآذَ برجله وجدتِ ابنِ سَعْدَى للقرى غير عامٍ (١)
فأتى هُدىً أهدى لك الله فأقبل
وأنشأ حاتم يقول :

أماوىَّ قد طال التجنبُ والهَجْرُ وقد عَدَرْتَنى فى طلابكم العُدْرُ
أماوىَّ إما مانعٌ مُعْبِنٌ وإما عطلاء لا يُبْنِههُ الزَّجْرُ
أماوىَّ ما ينبنى الثراءُ عن الفقى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدْرُ
وقد علم الأقبولُ لو أنَّ حاتمًا أراد ثراءَ المال كان له وَفْرُ

إلى أن أتى على القصيدة ، وهى مشهورة . فقالت : أما أنت يا زيد ، فقد وترت العرب ،
وبقاؤك مع الحرّة قليل . وأما أنت يا أوس ، فرجل ذو ضرائر ، والصبر عليهن شديد .
وأما أنت يا حاتم ، فمرضى الخلائق ، محمود الشيم . كريم النفس ، قد زوجتكَ نفسى !

(١) أى : غير مبطى .

حبّ سحيم لعائشة بنت طلحة :

قال أبو الحسن على الدائني :

تزوج سحيم بن حفص - بمائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أبو عذرتها فولدت له أولاداً ، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر :

أَيَا طَلَحَ إِن كُنْتَ أُعْطِيتِي جُمَا لِيَّةً تَسْتَحِفُّ الصَّفَارَا
فَاكُنْ تَمَكُّ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَيْنِ وَلَكِنْ مَرَارَا
أَبُوكَ الَّذِي يَابِعَ الْمُصْطَفَى وَسَارَ مَعَ الْمُهْتَدَى حَيْثُ سَارَا

وقال أيضاً عن سحيم : صارت عائشة زوجها ، وكان في خُلُقها زعارة ، وكان يلقى منها البلاد ، ف قيل له : طلقها ، فقال :

وَأَنَّ فِرَاقِي أَهْلَ بَيْتِ أَوْدُهُمْ لَهُمْ زُلْفَةٌ عِنْدِي لِإِحْدَى الْمُظَالِمِ
فَكَيْفَ بِصَفْوِ الْعَيْشِ مِنْ بَعْدِ بَيْنِهِمْ وَسُخْطُهُمْ يَوْمًا . . . عَنِ الْأَنْفِ خَاطِمِي
وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إِنَّ تَزَوُّجَهُ فَهُوَ عَلَى كَظْهَرِ أُمِّي . ثُمَّ سَأَلَتْ أَهْلَ
الْمَدِينَةِ فَقَالُوا : اعْتَقِي رَقَبَةً وَتَزَوَّجِيهِ . فَتَزَوَّجَهَا فَأَصْدَقَهَا خَمْسَ مِائَةِ أَلْفٍ ، وَأَهْدَى لَهَا خَمْسَ مِائَةِ
أَلْفٍ . فَقَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي أَنَسٍ :

تَعَطَّى الْفَتَاةُ بِأَلْفِ أَلْفٍ كَامِلٍ وَتَبَيَّتْ سَادَاتُ الْجَنُودِ جِياعاً
لَوْ فِي أَبِي حَفْصٍ أَقُولُ مُقَاتِلِي وَأَبْشُهُ مَا قَدْ أَرَى لَارْتَاعاً
فَبَلَغَ الشَّعْرُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : إِنَّ مَصِيباً قَدِمَ خَيْرِهِ .

وقال أبو الحسن عن الشعبي : كَانَ يَجَالِسُنَا أَيَّامَ الْفِتْنَةِ رَجُلٌ فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ ؟
قَالَ : مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ ، خَطَبَهَا مَصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَتَزَوَّجَهَا فَأَحْبَبَهَا ، وَكَانَتْ
امْرَأَةً جَمِيلَةً فِي أَذْنِهَا عِظْمٌ ، وَفِي سَاقِهَا حَوْشَةٌ ^(١) . وَقَالَ قَوْمٌ : فِي قَدَمِهَا عِظْمٌ .

وروى عن الشعبي أنه قال : أخذ بيدي مصعب ، ففضى وأنا معه حتى دخل منزله وبده في يدي ، فرفع سترأ فإذا عائشة ، وإذا هي أحسن الناس وجهاً ، فأعرضت وخلائي ودخل ، فرجعت . ثم رحتُ إليه بالمشي وهو جالس ، فأشار إلى يده وقال : أرايت ذلك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ قلت : لا . قال : تلك ليلي التي يقول فيها الشاعر :

ومازلتُ من ليلي لذن طرشاربي إلى اليوم أخفى حبها فأباين^(١)

وأحل في ليلي لقلبي صَبِينَةً وتُحْمَل في ليلي على الضنائنُ

ياشعبي : رأيت عائشة وما يذكلك إذ رأيتها من صلة ، ثم قال لا بن أبي فروة : أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوباً . فقتل عنها مصعب . وأنبأ الحسن قال : قال سلم بن قتبية : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمت عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله مصعب ، ثم أرادت الهوض ، فأخذت امرأتان بيديها - وعندها نسوة . فاعتمدت على المرأتين ، فما كادت أن تستقل حتى خذلها وركاها ، فقالت إحسدى المرأتين : إنا بك لمتعبات ، وكانت مديدة الجسم ، مكتنزة اللحم ، على نصيب وافر من حسن الصورة وإشرافها .

الثريا وعمر بن أبي ربيعة^(٢) :

حدثنا الزبير بن بكار ، عن بَسْلَمَةَ المخزومي عن أيوب : أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقا بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت أهل ذلك جمالاً وتاماً ، وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يندو عليها على فرسه ، فيسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار ، فلقى يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبراً ، إلا أننى سمعت عند رحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قريش نسيت اسمها ، ولعله نبحم في السماء . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

(١) البيتان لكنبر عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٢) وروايته : « وأداجن » .

(٢) في الأغاني ج ١ .

وكان عمر قبل ذلك قد بلغه أنها عليلة ، فَوَجَّهَ فرسه إلى الطائف يركضه ، وسلك أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقته وهي تنشوف له فوجدها سليمة ومعها أختاها : رضى وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا أمرتهم لأخبرهم مالى عندك فقال عمر فى ذلك هذا الشعر :

تشكى الكُمَيْتُ الجُرَى لما جهدته وبين لو يستطيع أن يشكلاً
فقلت له : إن ألقى للمين قرّةً فهاهنا على أن تكلّ وتسأماً
لذلك أدنى دون خيلى رباطه وأوصى به ألا يهان ويكرماً
عدمت إذن وفرى وفارقت مهجتي لأن لم أقل قرناً إن الله سلماً

فقال مسلمةُ بن إبراهيم : قلت لأبيوب بن مسلمة : أكانت الثريا كما يصف عمر ابن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قيس :

حبذا الحج والثريا ومن بال خيف من أهلها وماقِ الرِّحالِ
ياسليمان إن تلاق الثريا تلقى عيشَ الخلود قبل الهلالِ
دُرّةٌ من عقائل البحر بكر لم يشنها مُثاقِبُ اللَّيْلِ
تعقد المئزر السَّخَام من الحرِّ على حقو بادئ مكسالى

وحدثنا عمر بن سبّة قال : أخبرنا محمد بن يحيى قال : زعم عبيد بن يعلى - قال حدثني كثير بن كثير السهمي قال : لما ماتت الثريا ، أتاني النريض فقال لى : قل أبيات شعر أنسخ فيها على الثريا ؛ فقلت :

ألا ياعين مالكِ تدمعينا أمن رمدٍ بكيت فتكحلينا ؟
أما أنت حزينة تبكين شجواً فشجوك مثله أبكى العيون !

أبو الأسود الدؤلى وامرأته وابنيها :

قال صاحب « سناء المهتدى » .

تنازع أبو الأسود الدؤلى وامرأته فى ابن لهما ، وترافعا إلى زياد - وأراد كلّ أخذه ، فقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابنى ، كان بطلى وعاءه ، وحجرى ففاه ، وثدى سقاءه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوفى فصاله ، وكلتُ خصاله ، واستوكت أوصاله ، وأملتُ نفعه ، ورجوتُ دفعه ، أراد أن يأخذه منى كرهًا ، فأنصفتنى فقد أراد قهرى ، وحاول قسرى .

فقال أبو الأسود : حملته قبل أن تحمله ، ووضعتُه قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وأنظر فى تقويم أوده ، وأمنحه على ، وألهمه حِلْمى ، حتى يكْمُل عقله ، ويستكمل نُبله .

فقالت المرأة : صدق أصلحك الله . حمله خِفًا ، وحملته ثَقَلًا ، ووضعه مَهْوَةً ، ووضعتُه كَرْهًا .

فقال زياد : ارددْ على المرأة ولدَها فهى أحقُّ به منك ، ودعنا من سَجَمِكَ .

* * *

المجرّد والمرأة التى تبعها :

قال ابن وهب : تبتُ جارية إلى منزلها ، طامعًا فيها . فسقتنى نبذًا وغنت على عودها بصوتٍ ما سمعتُ أعذبَ منه ، ولا أنفَذَ إلى القلب :

كَأَنِّ بِالْمَجْرَدِ قَدْ عَلَنَتْهُ . . . نِمَالُ الْقَوْمِ أَوْ حُجُبُ السَّوَارَى

فقلتُ لها : جُمِلْتُ ندائكِ ، لم أنهم هذا الشعر ولا أحسبه مما يُعْنَى به . قالت : أنا أولُ من تنسَى به ، وإنما هو بيتٌ لا يدري قائله ومعه بيتٌ آخر .

(٤ - الحب والجمال)

قلتُ : سُرِّينِي بِأَنْ تُغْنِيَهُ لَعَلِّي أَنفَهُمْ . قالتُ : ليس هذا وقته ، هو آخر ما أتغني به .
قال : وجعلتُ لَأَنَازِعُهَا شَيْئًا إِجْلَالًا لَهَا وَإِعْظَامًا ، فلما أُمْسِيغًا وجاءت العشاءُ الأخيرةُ ،
وضعتُ عودَهَا ، فقمْتُ فَصَلَّيْتُ وما أدري كم صَلَّيْتُ عَجَلَةً وَتَشَوُّفًا . فلما سلمتُ ، قلتُ :
تَأْذِينِ لِي جُعَلْتُ فِدَاءَكَ فِي الدُّنُوِّ مِنْكَ ؟

قالتُ : هذا لك ، ولكن بعد أن يتجرّد كلُّ مَنَّا . ثمَّ ذهبتُ كُلُّنَا تَرِيدُ أَنْ تَخْلَعَ ثِيَابَهَا ،
فكُدتُ أَنْ أُشَقَّ ثِيَابِي مِنَ الْعَجَلَةِ لِلْخُرُوجِ مِنْهَا ، وَلَمَّا قُتْ بَيْنَ يَدَيْهَا مَتَجَرِّدًا . قالتُ :
انته إلى زاوية البيت ، وأقبل إلى مَقْبَلًا وَمَدْبِرًا . قال : وبينما أنا في طريق إلى الزاوية ، أردتُ
اجْتِيَازَ حَصِيرِ فِي النِّرْفَةِ ، فمَا كُدتُ أَنْ أُسْتَقِرَّ فَوْقَهُ حَتَّى هَبَطَ بِي فِي خَرَقٍ تَحْتَهُ ، وَإِذَا أَنَا
فِي السُّوقِ مَجْرَدًا ، وَإِذَا شَيْخَانِ هُنَاكَ قَدْ كُنَا فِي نَاحِيَةٍ ، وَأَعْدَا نَاحِيَةٍ . فَلَمَّا هَبَطْتُ عَلَيْهِمَا
بَادِرَانِي فَقَطَعَا نِوَالَهُمَا عَلَى قَفَايَ ، وجاءَ أَهْلُ السُّوقِ ، فَشَارَكُوهُمْ فِي ضَرْبِي حَتَّى أُنْسِيْتُ أَسْمِي
وَبَيْنَمَا أَنَا أَخْبِطُ بِنِوَالٍ مَخْصُوفَةٍ ، وَأَيْدِي قَالٍ ، وَخُشْبُ دِقَاقٍ ، إِذَا صَوْتُ مَنْ فَوْقَ الْبَيْتِ
يَنْتَنِي :

كَأَنِّي بِالْمَجْرَدِ قَدْ عَلَنِي نِوَالُ الْقَوْمِ أَوْ خُشْبُ السَّوَارِي
وَلَوْ عَلِمَ الْمَجْرَدُ مَا أَرَدْنَا لِبَادِرِنَا الْمَجْرَدُ فِي الصَّحَارِي

الشعراء العشاق

جميل بثينة^(١) :

إنَّه لَمَعْلُومٌ أَنَّ بُثَيْنَةَ حُبُوبَةُ جَمِيلٍ قَائِدُ الشَّعْرِ ، وَقَدْ نَسَبَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ بِنِسَاءٍ مَخْصُوصَةٍ ،
وَاشْتَهَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَنْ تَغَزَلَ بِهَا ، فَاشْتَهَرَ جَمِيلُ بَيْثِينَةَ ، وَاشْتَهَرَ كَثِيرٌ بِمَرْثَةٍ ، وَعُرُوةُ
ابْنِ حِزَامٍ بِمَعْرَاءٍ ، وَقَيْسُ مَجْنُونٍ بِبَنَى طَامِرٍ بَلْبَلَى ، وَقَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ بِبَلْبَى ، وَالْمَرْقَشُ بِقَاطِمَةَ ،
وَذُو الرِّمَّةِ بِمَيْمَةَ وَهِيَ الْخُرْقَاءُ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ بِفَوْزٍ .

وبعض الشعراء لا يلتزم التنزُّلَ بامرأة مخصوصة كأميرى القيس .
وَبُثَيْنَةُ مُصَنَّفٌ . بَثْنَةٌ - قَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ : الْبَثْنَةُ - بِالْأَرْضِ اللَّيْنَةُ ،
وَبِتَصْنِيفِهَا سَمَّيْتُ : بُثَيْنَةَ .

أَمَّا قِصَّةُ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرِ الْعَذْرَى ، فَقَدْ رَوَى صَاحِبُ « الْأَغَانِي » بِسَنَدِهِ ، قَالَ :
اجْتَمَعَ جَمِيلٌ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ رَهْطِهِ يَتَحَدَّثُونَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا لَهِ حَدَّثْنَا بِأَعْجَبِ يَوْمٍ لَكَ مَعَ
بُثَيْنَةَ . قَالَ : نَعَمْ . مُنَعَتٌ مِنْ لِقَائِي مَدَّةً ، وَتَعَرَّضْتُ لَهَا جَهْدِي فَلَمْ أَصِلْ إِلَيْهَا ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ
لَيْلَةٍ جَالِسٌ بَيْنَ شَجَرَاتٍ بِالْقَرَبِ مِنْ حَيْهَا ، وَقَدْ أَقْتُ ثَلَاثًا أَنْتَظَرُهَا ، إِذَا شَخْصٌ قَدْ أَقْبَلَ
إِلَيَّ ، فَجَلَسْتُ وَانْتَضَيْتُ سِنِّي ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ غَشِيَنِي الشَّخْصُ ، فَإِذَا هِيَ بُثَيْنَةُ قَدْ أَكْبَتَتْ
عَلَيَّ . فَأَدْهَشَنِي ذَلِكَ ، وَبَقِيتُ مَتَحِيرًا لَا أَحِيرُ جَوَابًا إِلَيْهَا ، وَلَا أَرَا جَمْعًا كَلِمَةً حَتَّى بَرَقَ الصَّبْحُ ،
وَمَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكَلِّمَهَا .

قَالُوا : فَهَلْ قَاتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ؟ فَأَنْشَدَهُمْ قَصِيدَةَ طَوِيلَةٍ ..

وهذه أبيات من أولها :

أَهَاجَكَ أَمْ لَا بِالتَّنَاضُبِ مَرَّجُ وَرَسْمٌ بِأَحْرَاجِ النَّدِيرَيْنِ ، بَلْفَعُ

ديارَ الليلِ ^(١) . . إذ نَحُلُّ بها مَمَّا
 فياربَ حَبَبِي إليها ، وأَعْطَى الـ
 وإلَّا . . فَصَبْرَتِي وَإِنْ كُنْتُ كَلْهًا
 فَإِنْ يَكْ قَدْ شَطْتُ نَوَاهَا وَقَدْ نَأَتْ
 جَزَعْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ لِمَا تَحْمِلُونَا
 تَمَتَّعْتُ مِنْهَا يَوْمَ بَانُوا بِنَظَرَةٍ
 وإذ نَحْنُ مِنْهَا فِي الْمَوْتَةِ نَطْمَعُ
 مَوَدَّةَ مِنْهَا ، أَنْتَ تَعطَى وَنَحْنُ
 فَإِنِّي بِهَا إِذَا الْمَارِجُ مُوَلِّعُ
 فَإِنَّ الْقُوَى مِمَّا تُشَبِّتُ وَتَجْمَعُ
 وَمَا كَانَ مِثْلِي يَا بَثِينَةُ يَجْزَعُ
 وَهَلْ عَاشِقٌ مِنْ نَظَرَةٍ يَتَمَتَّعُ؟

وروى صاحب الأغاني عن الهيثم أن جميلًا طال مقامه بالشام ، ثم قدم وبلغ بئينة خبره . فراسلته مع بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ، ووجدتها به ، وواعده لموضع يلتقيان فيه ، فصار إليها ، وحادثها طويلًا ، وأخبرها بحاله بعدها .

قال : وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هما عليها ، فوثب جميل فسل سيفه وشدَّ عليهما ، فاتقيا به الحرب . وناشدته بئينة بالانصراف وقالت : إن أقت فضحتني ، ولعل الحى أن يلحقوك ، فأبى وقال : أنا مقيم ، وامضى أنت وليصنعوا ما أحبوا . فلم تزل تناشده حتى انصرف . وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه ، فقال هذه الآيات الستة :

بمُخْتَلِفِ الْأَرْوَاحِ بَيْنَ سُوَيْقَةٍ ^(٢) وَأَحْدَبٍ ^(٣) كَادَتْ بَعْدَ عَهْدِكَ تَخْلُقُ ^(٤)
 أَضْرَتْ بِهَا النِّكْبَاءُ ^(٥) كُلَّ عَشِيَّةٍ ^(٦) وَقَفَّ الصَّبَا ^(٧) وَالْوَابِلُ ^(٨) الْمَتَّبِعُ ^(٩)
 وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى تَحُلَّتْ عَمَائِي ^(١٠) وَمَلَّ الْوَقُوفُ الْأَرْحَى ^(١١) الْمُنُوقَ ^(١٢)

(١) لا يخفى أن جيلا يسبب ببئينة . ولأما ذكرها باسم ليل جريا على عادة الشعراء في إخفاء أسماء معشوقاتهم أحيانا .

(٢) سويقة وأحدب : موشمان . (٣) غلق : تبلى ، يقال خلق الثوب وأخلق .

(٤) النكباء : كل ربع تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أى : عدلت .

(٥) نفح الصبا : النسيم الليل . (٦) الوابل : المطر العظيم . (٧) المتبع : المطر العظيم .

(٨) عمائى : بنت العين من العماية ، هى من عمى القلب . (٩) الأرحى : الجبل النجيب منسوب

إلى الأرحب وهى قبيلة ، وقيل خل ، وقيل موضع . (١٠) المنوق : المذلل كالنافقة .

وقال خليلي : إِنَّ ذَا لِمَصِيبَةٍ
تَعَزُّ وإن كانت عليك كُرْعةٌ
فقلت له : إِنَّ الْبُعَادَ يَشُوقُنِي
وَبَعْضُ بَعَادِ الْبَيْنِ وَالنَّائِي أَشُوقُ
أَلَا تَرَجُرُ الْقَلْبَ اللَّجُوجَ فَيَلْحَقُ
لَمَّاكَ مِنْ أَسْبَابِ^(١) بَثْنَةٍ تُمَتِّقُ

كثيِّر عِزة :

من «بلاغات النساء»^(٢) ماحدثنيه الزبير بن بكار، قال : حدثني سليمان بن عباس
السَّعْدِيُّ قال : كان كثير بن عبد الرحمن يأتي من يمحج من قريش في كل سنة بهدية ،
ففعَّل سنة عنهم ، حتى أصبح يوماً فركب من منزله بكلِّبَةَ جَدًّا ، واستقبل الشَّمْسُ في يوم
سائِف ، فلم يأت قديداً حتَّى احترق وضجّر وجاء وقد راح النَّاسُ ، إلا فتى من قريش
تَخَلَّفَ ومعه راحلةٌ له ، على أن يلحق بهم .

قال الفتى القرشي : فأتى لجالس إذ أقبل كثيرٌ فجلس إلى جنبي ولم يُسَلِّمْ . ثم جاءت
امراةٌ جميلةٌ وسيمَةٌ ، فاستندت إلى خِيَمَةٍ من خيام قديد ؛ ثم قالت له : أنت كثيرٌ
بن أبي جمعة ؟ قال : نعم . قالت أنت الذي تقول :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَجْلُلَنَّ مَجْلِسِي وَأَعْرَضَ عَنِّي هَيْبَةً لَا تَجْهَمَا

قال : نعم . فتأثَّمت وجهه مبتسمة وقالت : أعلى مثل هذا الوجه هيبة ؟ إن كنت
كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والنَّاسُ أجمعين .

فقال لها : كثيرٌ : من أنت ؟ واحتدَّتْ عليها وهي ساكنة . ثم قال لها : لو أعلم
من أنت لقطعتُكَ وقطعتُ قومك هباءً . فلما سكن ، قالت له : أنت الذي تقول :

مَتَى تَنْشُرُوا عَنِّي الْعَمَامَةَ تُبْصِرُوا جَمِيلَ الْحَيَا أَغْفَاتُهُ الدَّوَاهُنُ ؟

أنت جميل الحيا ؟ ! إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والنَّاسُ أجمعين .

(١) وقوله : لملك من أسباب بثنة . روى بدله : لملك من رف لبثنة . . .

(٢) في إرشاد الأديب ص ١٣٧ .

فضجر كثير، وسكت عنه حتى سكن . ثم قالت : أنت الذي يقول :
 يروق العيون الناظرات كأنه هِرَقْلِيٌّ وزنٍ أحرُّ التَّبرِّ وازِنُ
 أهدأ الوجه يروقُ العيون ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
 فازداد خيراً وقال : قد أعلم من أنت، ولأقطعَنَّكِ وقومك، وقام . فالتفت فإذا هي قد ذهبت .
 قال القرشي : فلما كان منصرفي من قديده، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة وقلت لها :
 لك عليّ إن أخبرني من هي أن أطوي لك ثوبيّ هذين إذا قضيت إحرامي وأتيك بهما -
 فأدفعهما إليك . قالت : والله لو أعطيتني وزَّههما ذهباً ما أخبرتك من هي . هذا كثير -
 وهو مولاي - قد أبيت أن أخبره من هي .
 قال القرشي : فرحت وبى أشدَّ مما بكثيرٍ ! .

عمر بن أبي ربيعة :

كان عمر بن أبي ربيعة^(١) معروفاً بشغفه حباً في النساء ، وغشقاً لمحاسنهن ، والتشبيب
 بمن يهواها ، وهذه أبيات له :

وكادت تَوَالِي نَجْمِهِ تَتَمَوَّرُ	فلما تَقَضَّى اللَّيْلُ إِلَّا أَقْلَهُ
هبوب ولكن موعد لك عَزَّوَرُ	أشارت بأن الحى قد حان منهم
وأيقاظهم قالت : أشر كيف تأمرُ ؟	فلما رأت من قد تلبه منهم
وإنما ينال السَّيفُ ثأراً فيثأرُ	فقلت : أباديهم فأبأ أفوئهم
علينا ، وتصديقا لما كان يؤرُّرُ	فقلت : أتحقيقاً لما قال كشحُ
من الأمر أدنى للنجفاء وأسترُ	فإن كان مالا بدَّ منه فخيرُهُ
ومالٍ من أن تملأ متأخرُ	أفصُّ على أختي بدء حديثنا

(١) في خزانة الأدب ج ٣ .

لَمَّا هُمَا أَنْ تَبْنِيَا لَكَ مَخْرَجًا وَأَنْ تَرْجَبَا صَدْرَا بِمَا كُنْتَ أَحْصَرُ
فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا : أَعَيْنَا عَلَى فِتْنَى أَتَى زَائِرَا وَالْأَمْرَ لِلْأَمْرِ يُقَدِّرُ
فَأَقْبَلْنَا ، فَارْتَاعَتَا . . ثُمَّ قَالَتَا : أَقْلَى عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَالْخَطْبُ أَيْسَرُ
يَقُومُ فِيمَشَى بَيْنَنَا مَتَكَرًا فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يُبْصَرُ
فَسَكَانَ مَجْتَى دُونَ مَنْ كُنْتَ أَتَى ثَلَاثَ شَخْصٍ : كَلْبَانِ وَمَعْصَرُ

من شعر أُمَيَّةَ بْنِ الصَّلْتِ فِي الْغَزْلِ :

قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ مِنْ « الطَّوِيلِ » :
أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى وَأَذْنَ أَصْحَابِي غَدَاً يَقُولِ
تَبَدَّتْ لَهُ كَيْلَى لِيَذْهَبَ عَقْلُهُ وَشَاقَتْكَ أُمُّ الصَّلْتِ بِمَدِّ ذُحُولِ
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا وَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي كَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
إِذَا ذُكِرْتَ كَيْلَى تَمَشَّتْكَ عَهْرَةٌ تَعْلِيهَا التَّيْمَانُ بِمَدِّ نُحُولِ
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي : هَلْ سَأَلْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، كَيْلَى أَضَلَّ خَلِيلِ
وَأَبْعَدُهُ لَيْلَى ، وَأَوْشَكُهُ قَلَى وَإِنْ سُئِلْتُ عُرْفًا فَشَرُّ مَسْئُولِ
لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُوِجَتْ عَنْهُمْ بِلَيْلَى ، وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ
فَإِنْ حَاوَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بِكَذِبَةٍ فَرَوْهَا ، وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِحُيُولِ
فَلَا تَعْجَلِي يَا لَيْلَى أَنْ تَنْفَعَمِي بِنُصْحِ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولِ
فَإِنْ تَبَدَّلِي لِي مِنْكَ يَوْمًا مَوَدَّةً فَقَدْ مَا تَخَذْتُ الْفَرَضَ عِنْدَ بَدُولِ
وَإِنْ تَبَخَّلِي يَا لَيْلَى عَنِّي فَإِنِّي تَوَكَّلْتُ نَفْسِي بِكُلِّ بَخِيلِ
وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِي بِنَائِلِ قَلِيلِ ، وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلِ

وليس خليلي باللول ، ولا الذي
ولكن خليلي من يديهم وصاله
ولم أر من كيلي نوالاً أعدّه
يلومك في كيلي وعقلك عندها
يقولون : ودّع عنك كيلي ولآههم
فما انتفعت نفسي بما أمرُوا به
وقالوا : نأتْ فاختَر من الصبر والبكا
توليت محزوناً وقلت لصاحبي :
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم
ومازلت من كيلي لدن طرّ شاربي

إذا غَبْتُ عنه باعني بخيل
ويحفظُ سرّي عند كلّ دخيل
ألا ربّما طالبت غير مَنيل
رجالٌ ، ولم تذهبْ لهم بقول
بقاطمة الأقران ذات خليل
ولا عَجْتُ من أقوالهم فيقتيل
فقلت : البكا أشنى إذن لنجلي
أقَاتِلني كيلي بنير قتيل ؟ !
ومال بنا الواشون كلّ ميل
إلى اليوم كالمقصى بكلّ سبيل

حب امرئ القيس :

من بين جبال اليمن السيدة وقد اشتهرت بحُجب أرضها - جبل يقال له : ضارج . .
وهو جبل معروف يملو سفحه نبات أخضر يسمى « العَرْمَض » وبعو الماء فيه مكان مرتفع
يقال له « طامي » ويقال له أيضاً : نَوْرُ الماء ، لتفجّر ثورانه من بين صخور وأحجار .
وقد ذكر البكري أن ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم -
فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم ، فلما أتوا « ضارجاً » وهو ذلك الجبل الذي
يفي عليه الظل وأرقاً جيلاً من نبات العرمض ، بخُضرته الياضة ورأى تحتها الطيبة . . . ذكر
أحدهم قول امرئ القيس :

ولما رأت أنّ الشريعة همها وأنّ البياض من قرائضها دامي
تيممت العين^(١) التي عند « ضارج » يفى عليه الظل عَرْمَضُ طامي^(٢)
وإنّه خبر عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التي أبدع الله صنعها .

(١) إشارة إلى الماء . (٢) الطامي : المرتفع الذي يملو نباته الماء .

ذو الرمة وميّة :

اشتهر ذو الرمة بحبّ خرقاء ، ولُقِّبَتْ : مِيّة . وممّا يؤثّر عنه أنّه يخاطب نفسه -
في قصيدة طويلة كلّها غزلٌ ونسيبٌ فيقول :

إذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تخلقُ جبال الوسائل
وأهله ودّر فد تبرّيتُ ودّهم وأبليتُهم في الحمد جَهدي ونائلي

توبة وليلى الأخيلية :

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان ، وأبو إسحاق الزجاج ، عن أبي العباس محمد
ابن يزيد البرّد . قال ثبتت الروايات والأخبار أنّ « ليلي الأخيلية^(١) » لم تكن امرأة
نوية بن الحَجَر ولا أخته ، ولا كان بينهما نسب شابك ، إلّا أنّهما كانا
جميعاً من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان يحبها وتحبّه ،
فأقاما على حبّ عفيفٍ دهما ، وتلك هي السّنةُ في عشاق بني عذرة وغيرهم ، إلى أن قتل
توبة . وكان سبب قتله أنّه كان يطلبه بنو عوف - فأحسّوا قدومه من سفره ، فأتوه طروفاً ،
وبيّنه وبينه حتى مسيرة ليلة ، ومعه أخوه « عبد الله ، ومولاه قابض » فمربا وأسلماه ،
ففي ذلك تقول « ليلي » :

دعاً قابضاً والمرهفاتُ تنوشُهُ فقيّحتَ مدعوّاً ، ولُبّيتَ داعياً
فيا ليتَ عبد الله حلّ مكانهُ فأودى ، ولم أسمع لتوبة ناعياً
ومن جيّد ما تَرثِيه به قولها :

فأفسمت ، أبكي بعد توبة هالكاً وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما بالموت عارٌ على النّعتي إذا لم تصبه في الحياة المفايرُ
فلا الحى ممّا يحدث الدهر سالم ولا الليث إن لم يصبر الحى ناعم

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠ .

وكلُّ شبابٍ أو جديديٍّ إلى بلى
فلا يُبعدنك اللهُ توبةَ هالكٍ
وأقسمت لا أنك أبكيك مادعت
قتيلُ بنى عوفٍ فياهمّتا له
وكل امرئ يوماً إلى الله صائرُ
أنا الحرب إذ دارت عليه الدوائرُ
على غصن ورقاه أو طار طائرُ
وما كنت إياهم عليه أحاذرُ

قال أبو القاسم رحمه الله : قولها : « أقسمت أبكى بعد توبة هالكاً » أى : لا أبكى بعد توبة هالكاً . والعرب تضرع « لا » فى القسم مع المني - لأنّ الفرق بينه وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون - كقولك والله لأخرجن ، وقال الله عز وجل : « تالله تفتأ تذكر يوسف » أى : لا تفتأ تذكر يوسف . وقولها : « ولا الميت إن لم يصبر الحى ناسر » يقال : نشر الله الموتى فنشروا - أى . أحياهم فخيروا .

قال الشاعر :

لو أسندتُ ميتاً إلى نحرها عاشَ ولمْ ينقل إلى القابرِ
حتى يقول الناس ممّا رأوا يا عجبا للميت الناسرِ

ومن أغرب ما روى فى (السدى) ما رواه أبو على من أن ليلي الأخيلية مرت مع زوجها فى بعض نجعهم بالموضع الذى فيه قبر توبة ، وكانت متزوجة فى بنى الألكح بن عبادة ابن عقيل . فقال لها زوجها : لا بد إن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمى عليه حتى أرى هل يجيب صده كذا زعم - حيث يقول :

ولو أن ليلي الأخيلية سلّمت
لسلّمت تسليم الباشاة . . أو زقا
على ، ودونى جندل وصفايح
إليها صدى من جانب القبر صامح

فقال له : وما تريد من رمة وأحجار ؟ ! فقال : لا بدّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق إلى القبر ، وذلك فى يوم قائل ، فلما دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام عليه ، إذا بطائر قد استظلّ بحجارة القبر من فيح المهاجرة ، فنفرت راحلتها ووقعت ، فأتت !

وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن : البلاء موكلٌ بالناطق . كما يروى أن أحد المولعين بالخمر قال :

إِذَا مِتُّ فَأَدْفِنْنِي إِلَى جَنْبِ كَرَمَةٍ تَرْوِي عِظَائِي فِي الْمَاتِ عَرُوقَهَا
وَلَا تَدْفِنُونِي فِي الْفَلَاءِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَلَّا أُذَوِّقَهَا

وبعد حين من ذلك ، مات ذلك المولع بالخمر ، وزار قبره ذاك كرم له فإذا هو عليه عريش ، فتعجب من ذلك !

عبيد الله بن طاهر وجاريته :

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال : أخبرنا أبو العباس المبرّد قال : دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وقد فصد فظننت أن ذلك لعله ، فأكثر له من الدعاء . فقال : خففُ عليك أبا العباس ، فليس ذلك لعله ، وانظر ماتحت البساط ، فنظرت فإذا رقعة فيها :

حَلَفَ الظَّرِيفُ بِقَطْمِهِ يَدُهُ إِنْ مَسَّ مِنْ يَهْوَاهُ بِالْأَلَمِ
حَتَّى إِذَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهِ جَعَلَ الْفَصَادَ تَحِلَّةَ الْقَسَمِ

قلت : حسن أيها الأمير . فاسييه؟ قال مددت البارحة يدي إلى إحدى الجوارى بالضرب فآلمت لما نألتها من الألم ، فخلفت بقطع يدي ، فأفتيت بالقصْد ، ففعلت . وأنشدنا الأَخْفَضُ لأبي نواس :

مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَقْرُ خُفُوقًا وَأُرَاكَ تَرعى النَّجْمَ وَالْعِوُوقًا
وَجَفُونَ عَيْنِكَ قَدْ ثَرَنَ مِنَ الْهَيْكَا فَوْقَ الدَّمَاعِ لَوْلُوا وَعَقِيَّتَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانُ عَيْنِكَ سَابِحًا فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ لَمَاتَ غَرِيقًا

بحر هوى ليس له شطّ :

أخبرنا أبو بكر محمد بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال :
دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكي ، وبين يديه جارية يقال لها : خنساء ،
وكانت شاعرة ظريفة ، فقال له : اعبت بها فأنشأ يقول :

خنساء خنساء وحتى متى يرتفع الناس ونَحْطُ
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأنني من دفتي خيْطُ
فقالت خنساء :

وكيف منجأى وقد حلّ بي بحرُ هوى ليس له شطّ
يدركك الوصلُ فتنبجُ به أو يقع المهجر فتَنَحْطُ

حب زينب بنت إسحاق النصراني :

من فوائد الرضى الشاطبيّ المذكور ، ما ذكره أبو حيان في الحبّ قال : وهو من
غريب ما أنشدنا الإمام اللّوئى رضى الدّين أبو عبد الله محمد بن عليّ بن يوسف الأنصارى الشاطبي
لزينب بنت إسحاق النصراني :

عديّ وتيمّ لا أحولُ ذكرهم بسوء ولكني حُبٌّ لها هم
وما يعتريني في عليّ ورهطه إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون : ما بال أنصارى تُحبُّهم وأهل النّهي من أعرب وأعجم
فقلت لهم : إنّي لأحسبُ حُبَّهم سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

التائب من الحب :

قال الحجازي^(١) : قال عبد الوارث : كان فيمن يقرأ على مملوكٍ مَلِيحُ الوجه ، رَضِيَ الخُلُقُ ، حاد الذكاء . فَخَلَوْتُ بِهِ يَوْمًا ، وداعبته بباراتٍ تُنَبِّئُ عن شِدَّةِ شغفِي به ، فقال لي : حذار أن تعود لمثل هذا الكلام ، فللبُذْرانِ آذانٌ ، وربَّ عَثْرَةٍ لسانٌ ، أودت بإنسانٍ . . . ولكن إذا لم تستطع السكمان ، فاكتب لي ما تحبُّ أن تقولهُ في ورقةٍ فتكون في أمانٍ واطمئنان .

قال : فلما سمعت ذلك منه تمكَّن الطمع مني ، وكتبت في ورقة :
يا مَنْ لَهُ حُسْنُ يَقْوَى بِهِ الْوَرَى صِلْ هَاتِمًا قَدْ ظَلَّ فِيكَ مُحَيَّرًا
وَأَمْنُنْ عَلَيَّ بِسَاعَةٍ فِي خَلْوَةٍ إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِي الْهَوَى أَنْ تُوجِرَا
وكتبت تحت البيتين كلامًا كثيرًا في هذا المعنى ، ثم دفت إليه الورقة خِلْسَةً .
فلما حصلت الورقة عنده - كتب إليَّ في غيرها : إِنْكَ كَتَمَكُمُ أَتَى مِنْ بَيْتِ عَرِيقٍ
فِي التَّقْوَى . وسأبقى عددي خَطَّكَ شاهدًا على ما فَرَطَ مِنْكَ ، وَلَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ لِأُطْلِعَنَّ
عليها أَبِي وغيره . فتصيبك فضيحة الأبد .
أَمَّا إِنْ انْتَهَيْتَ فَلَنْ أَخْبِرَ بِهَا أَحَدًا أَبَدًا .
فلما وقفت على خطئه ، علمتُ قدر ما وقعتُ فيه ، وجعلتُ أَرْغَبُ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَرُدَّ الرُّقْعَةَ
إِلَيَّ ، فَأَبَى وَقَالَ :

هي عندى رهن على وفائك بآلا ترجع إلى التكلّم في ذلك الشأن .
ولم يسعني إلّا أن امتثلت ، لأنّي رأيت صيانتي وناموسي في يده ، وتبت عن مثل هذه
الداعبات .

الحب والجمال

حب امتداح النساء :

كان أبو بكر محمد بن التماس الخوارزمي - من الشعراء المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء ، عن براءة في القصد ، تحصل في طياتها روحاً لا تؤمن إلا بالواقع ، مهما يكلفه ما قصد إليه ، دون أن يقيم لذلك وزناً في استجلاب مرضاة أحد ، ومهما يمترضه من خصوم أو لاعين ، فن وسائل قلأته :

مصّت الشبيبة والحبيبة فالتقى دمنان في الأجنان يزدهمان
ما أنصفتني الحادثات رميتني بمودعين ، وليس لي قلبان
وقوله من أخرى :

قلت للعن حين شانت جمالاً من بوق كواذب الإعراض
لا يعرفك هذه الأوجه الغر فيارب حية في رياض
وقوله من أخرى أيضاً :

خليلي عهدى بالليالي صوافياً فإلها أبدئن حباً بصادها ؟
ولا تحسباً عيشي على فإنني أورش يوم الموت يوم افتقادها
ولست أحب الضوء إلا لوجهها ولا البدر إلا طالماً من بلادها
ولو أننى أنصفتها ورعيتها لسار فؤادي في طريق فؤادها
خليلي هل أبصرتما مثل أدمي نفدت وحق الله قبل تقادها

وقال بعض الحكماء : ما أنس الإنسان ، ولا عمر المكان ، ولا سلى الأخران ، ولا أعان على الزمان ، مثل البيض العوان .

وفى كتاب مُسَلِّمٍ ، أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال : « الدنيا متاع ، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

وفى كتاب « الأربعين » للثقفى عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : سئل النبي - صَلَّى الله عليه وسلم : أى النساء خيرٌ ؟ فقال : التى تسره إذا نظر ، ولا تعصيه إذا أمر ، ولا تخالفه فيما يكره من نفسها ، ولا ماله .

وفى « الشهاب » : « النظرُ إلى المرأة الحسناء يزيدُ فى البصر » والله درُ أبى نواس إذ يقول :

يزيدُك وجههُ حُسْنًا إذا ما زِدْتُهُ نَظْرًا
وقال شاعر آخر :

وَيُفْخِجُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ
وقال غيره :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ حَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

أعرابي يصف امرأة :

قال المثنى^(١) : سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال : بيضاء جَمْعَةٌ ، لا يمسُّ الثوبُ منها إلا مُشَاشَةً كَتِفَيْهَا ، وَحَلَمَةً تُدَيِّبُهَا ، وَرَضْفَى رَكَبَتَيْهَا ، وَجَانِبِي أَلْيَتَيْهَا ، وَأَنْشَدَ :
أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لَقَمِصِهَا مَسَّ الْبُطُونِ وَأَنْ مَسَّ ظُهُورَا
وَإِذَا الرِّيَاحُ مَعَ الْعَشَى تَنَافَحَتْ نَهْنَهَ حَاسِدَةٌ ، وَهَجَنَ غَيُورَا
وقال آخرُ : لَيْتَ فَلَانَةٌ حَطَلَى مِنْ أَمَلِي ، وَلَرُبَّ يَوْمٍ سَرْتُهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبَضَ اللَّيْلُ بِصَرَى دُونَهَا ، وَإِنْ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْفِي الظَّمَاءَ .

وذكر أعرابي امرأة فقال : تلك شمسُ باهت بها الأرضُ شمسَ سَمَائِهَا ، وليس لي شفيعٌ في اقتضاها ، وإن تَقْسَى لَكُنُومٌ لِداثِهَا ، وَلَكِنَّهَا تَفِيضُ عِنْدَ امْتِلَائِهَا . أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمسُ أَرْضِيهَا الَّتِي تَمَّ نُورُهَا فَبَاهَتْ بِهَا الْأَرْضُونَ شَمْسَ سَمَائِهَا
شَكُوتٌ وَمَا الشَّكْوَى لِمِثْلِي عَادَةً وَلَكِنْ تَفِيضُ النَّفْسُ عِنْدَ امْتِلَائِهَا

وقيل لأعرابي : ما بال الحبِّ اليومَ على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحبُّ في القلب ، فانتقل إلى المَعِدَةِ ، إِنْ أَطْعَمْتَهُ شَيْئًا أَحْبَبَهَا ، وَإِلَّا فَلَا . كان الرجلُ إذا أَحَبَّ امرأةً ، ظَلَّ حَوْلًا يَطُوفُ بِدَارِهَا وَيَفْرَحُ إِنْ رَأَى مِنْ رَأَاهَا ، وَإِنْ ظَفِرَ مِنْهَا بِجِلَسٍ تَشَاكِيًا وَتَنَاشَدًا الْأَشْعَارَ ، وَإِنَّهُ الْيَوْمَ يَشِيرُ إِلَيْهَا وَتَشِيرُ إِلَيْهِ ، وَيَعِدُّهَا وَيَعِدُّهُ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَشْكُوا حُبًّا وَلَمْ يَنْشِدَا شِعْرًا .

وقال أعرابي يشكو لوعةَ الحبِّ وَكِثْمَانَهُ وَصَبْرَهُ عَلَى مَنْ يُحِبُّهُ وَلَا يُطِيقُ سُلُوكَهُ :
شَكُوتٌ فَقَالَتْ : كُلُّ هَذَا تَبَرَّمًا بِحُبِّي ، أَرَأَيْتَ اللَّهُ قَلْبَكَ مِنْ حُبِّي
فَلَمَّا كَثَمْتُ الْحَبَّ قَالَتْ : لَشَدَّةٌ مَا صَبَرْتُ ، وَمَا هَذَا بِفَعْلٍ شَجَى الْقَلْبِ
وَأَدْنُو فَتَقْصِيئِي فَأَبْعِدُ طَالِبًا رِضَاهَا ، فَتَعَمَّدُ التَّبَاعُدَ مِنْ ذَنْبِي
فَشَكُوايَ تُوْذِيهَا ، وَصَبْرِي يَسُوءُهَا وَتَجَزُّعُ مَنْ يُعْدِي ، وَتَنْفَرُ مِنْ قُرْبِي
فَيَاقُومُهُ هَلْ مِنْ حِيلَةٍ تَعْلَمُونَهَا ؟ أَشِيرُ وَابِهَا ، وَاسْتَوْجِبُوا الشُّكْرَ مِنْ رَبِّي

الوصف بعد المشاهدة^(١) :

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني بروائع الكَلِمِ فِي نَظْمِ الشَّعْرِ ، وَاتَّخَذَ لِنَفْسِهِ طَرَائِقَ سَهْلَةً ، غَايَةً فِي الْبَسَاطَةِ ، فَكَانَ يَسْمُو بِوَصْفِ مَا أَحْسَنَ بِهِ ، وَاسْتِغْنَاهُ ، وَيَكْسُوهُ مِنْ رَقَةِ الْمَانِي أَسْلُوبًا جَمِيلًا يَقْرَبُهُ إِلَى الْفَهْمِ ، حَتَّى يَتَذَوَّقَ أَنَّاهُ الْمُسْتَعْمَعُ شَرَابًا

(١) فِي خَاصِّ الْخَاصِّ لِلتَّعَالِي .

عذاباً سلسبيلًا ، وعِلاَءُ بهِ الحزُونُ صُدْرَهُ نَسِيمًا صَافِيَا عَلِيلًا ، ومن بدائع طُرْفِهِ قَوْلُهُ :

أَنْذَى الَّذِي قَالَ وَفِي كَفِّهِ مِثْلُ الَّذِي أَصْرَبُ مِنْ فِيهِ

الْوَرْدُ : قَدْ أُيْنِعَ فِي وَجْنَتِي قُلْتُ : فَمَيِّ بِاللَّشْرِ يَجْنِيهِ

وقوله ، ولم أَسْمَعْ في التمرِض بالالتصاء أَحْسَنَ منه :

قَدْ بَرَّحَ الْحَبُّ بِمُشْتَأَقِكَ فَأَوَّلِهِ أَحْسَنَ أَخْلَاقِكَ

لَا تَجْفُهُ وَارِعَ لَهُ حَقَّهُ فَإِنَّهُ آخِرُ عُشَّاقِكَ

وقوله في فصد الحبيب :

يَا لَيْتَ عَيْنِي تَحَمَّلَتْ أَلَمَكَ وَلَيْتَ نَفْسِي تَفَسَّمتْ سَقَمَكَ

وَلَيْتَ كَفَّ الطَّيِّبِ إِذْ فَصَدَتْ عِرْفَكَ أَجْرَتْ مِنْ نَظَرِي دَمَكَ

أَعْرَفْتَهُ صَبِغَ وَجَنَّتِكَ كَمَا تُعْبِرُهُ إِنْ لَثَمْتَ مِنْ لَثَمَكَ

طَرَفُكَ أَقْصَى مِنْ حَدِّ مَبْضَعِهِ فَالْحِظْ بِهِ الرِّقَاقَ وَاعْتَنِمْ أَلَمَكَ

وقوله من قصيدة أولها :

مَنْ أَيْنَ لِلْمَاضِ السَّارِ تَلَهُبُهُ وَكَيْفَ طَبَّقَ وَجْهَ الْأَرْضِ صَبِيحُهُ

هَلْ اسْتَمَانَ جَفَوْنِي فَهِيَ تُنْجِدُهُ أَمْ اسْتَمَارَ فَوَادِي فَهُوَ يُلْهِمُهُ

ومنها :

بِجَانِبِ الْكَرَمِ مِنْ بَعْدَ أَدَلِي قَمَرٍ لَوْلَا التَّجَمُّلُ مَا أَفْنَكَ أَنْدَبُهُ

وَصَاحِبِ مَا صَحِبَتْهُ الدَّهْرُ دُبْعِدَتْ دِيَارُهُ ، وَأَرَانِي لَسْتُ أَصْحَبُهُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ لِعَيْنِي مَا يُورِّقُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَلِقَائِي مَا يُعْدُّهُ

وَمَا الْبُعَادُ دِهَانٍ ، بَلْ خَلَّاقُهُ وَلَا الْفِرَاقُ شَجَانِي ، بَلْ تَجَنُّبُهُ

وله أيضاً :

وَقَالُوا اضْطَرَبَ فِي الْأَرْضِ فَارَزُقْ أَوْسَعُ فَلْتُ : وَلَكِنْ مَطْلَبُ الرِّزْقِ صَيِّقُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ حُرٌّ يُعِينُنِي وَلَمْ يَكُنْ لِي كَسْبٌ ، فَمِنْ أَيْنَ أَرْزُقُ ؟

أُسْتَانُ النِّسَاءِ ^(١) :

قال أبو الحسن الأفش : من أحسن ما قيل في ترتيب أسنان النساء ، وإن كان شعراً ضميماً ، قولُ ضَمْرَةَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمَنْذَرِ ، وقد سأله وصف النساء :

مَتَى تَلَقَى بِنْتَ « الْمَشْرِ » قَدْ نُسُ تَدْبِهَا
تَجِدُ لَذَّةً مِنْهَا خَلْفَةَ رُوحِهَا
وصاحبة « المشرين » : لا شيء مثلها
وبنت « الثلاثين » : الشفاء حديثها
وإن تلقى بنت « الأربعين » فنبطه
وصاحبة « الخمسين » : فيها بَقِيَّةُ
وصاحبة « الستين » لا خير عندها
وصاحبة « السبعين » إن تلف ممرساً
وذات « الثمانين » التي قد تجللت
وصاحبة « التسعين » يرعش رأسها
ومن طالع الأخرى ، فقد ضل عقله

كُلُّ لَوْفٍ الْعَوَاصِ يَهْتَزُّ جِيدُهَا
وغيرها ، والحسن بعد يريدها
فتلك التي تلهو بها وتريدها
هي العيش ما رقت ولا دق عودها
وخير النساء : أودها وولودها
من الحسن واللذات ، صلب عمودها
وفيها ضياغ ، لا خريص يريدها
عليها فتلكم خزية يستفيدها
من الكبر الفاني وقد وريدها
وبالليل مقلق قليل هجودها
وتحسب أن الناس طراً عبدها

دَارَةُ يَلْعَبُ فِيهَا الْبَدْرُ ^(٢) :

عرف الشيخ سعيد السمان الدمشقي ، بحب الجمال ، وشنف بتصوير ما يمشقُ تصويراً حساساً ، ومن قوله مضمناً مصراعه الأخير :

يَارُبُّ ظَنِي كَالْدَامِ حَدِيثُهُ
قَدْ خَلَّتْهُ شَمْسُ الْهَارِ بِكَفِهِ
والوجه فيها لأخ فسكتها

فَيَسِينُهُ سَمْعِي وَعَقْلِي يَطْرُبُ
مَرَأَةً حُسْنُ لَوْنِهَا يَتَدَهَّبُ
هي دارة والبدر فيها يلعب

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي (٢) في سلك الدر ج ١ ص ٢٠٨ .

وقال العالم أحمد التتيني ، مضمناً نفس المصراع :

عَابَتْهُ وَكَانَتْهُ مِنْ . لُطْفِهِ رَاحُ تَكَادِهَا اللُّوَاحِظُ تَشْرَبُ
بِالْعَقْلِ وَالشَّطَرِ يَلْعَبُ وَهُوَ قُسْطَاطُ حُسْنِ الْمَسْرَةِ يَجْلِبُ
يَحْكِي الزَّمَرَدَ خَضِرَةً فَكَأَنَّمَا هِيَ دَارَةٌ وَالدُّرُّ فِيهَا يَلْعَبُ

المرأة والطبيب^(١) :

يَحْمِلُنَ أَتْرُجَةً تَضَخُّ الْعَبِيرُ بِهَا كَأَنَّ تَطْيِيبَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ
الْأَتْرُجَةُ هُنَا : كُنَايَةٌ عَنِ الْمَرْأَةِ شَبَّهَهَا بِهَا فِي طِيبِ رَائِحَتِهَا ، وَمَا لَوْهَا مِنَ الصُّفْرَةِ
وَكَاثَتِ الْعَرَبُ تَكَرَّرَ بَيَاضُ أَلْوَنِ الْمُفْرِطِ ، وَلَنَظَرُ كَانُوا يَعْبِوْنَ قَوْلَ الْأَعَشَى :
وَمِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ رُغْبُوبَةٌ لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنِ
وَكَانُوا يَسْتَحْسِنُونَ قَوْلَ ذِي الرِّمَّةِ :
صَفْرَاهُ فِي نَمَجٍ بَيْضَاءٍ فِي دَعَجٍ كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

تنف الوجه بالخيوط^(٢) :

قال النازمُ : لما استقرَّ بنا المقام ، بين إقدام وإحجام ، ودفننا الحنين إلى ما يُحْمَدُ
عقباه ، قرأنا على أبي بكر بن دُرَيْدٍ رحمه الله :

فَلَمَّا مَضَى شَهْرُهُ وَعَشْرُهُ لَعِيرَهَا وَقَالُوا : يَجِيءُ الْآنَ قَدْ حَانَ حِينُهَا
أَمَرْتُ مِنَ الْكَتَانِ خَيْطًا وَأَرْسَلْتُ جَرِيًّا إِلَى أُخْرَى قَرِيبًا تَعْبُهَا

هذه امرأة تنتظر عيراً قدَّمُ وزوجها فيها ، فأرادت أن تنف وجهها بالخيوط وتهمأ له .
والجريُّ : الرَّسُولُ . يقول : أرسلته إلى جارية لها تستعين بها في تنف وجهها بالخيوط للترئين .
وبعد هذا سار مسترسلاً معبراً عن الخيط بالسلك ، لأنه أقرب إلى المعنى ، وأسلس في المبنى ،

(٢) في أمالي الغالي ج ١ ص ١٩٨ .

(١) في الانقباض ص ٣٨٢ .

فقال :

فإزالَ بَجْرِي السَّلَكُ في حَرْ وِجْهِهَا وَجْهَيْهَا حَتَّى ثَنَّتَهُ قُرُونُهَا
ثَنَّتَهُ : كَفَّتَهُ . وَقُرُونُهَا : ذَوَائِبُهَا . وَمِنْهُ قَوْلُ بَجْنُونِ لَيْلَى لِرُوحِهَا :
بِرِّبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبْلَتْ فَأَهَا ؟
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلَى رَفِيفَ الْأَفْحَوَانَةِ فِي شَذَاهَا

تشبيه المرأة بيدر السماء :

بَدَتْ لَيْسُ كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
قوله : كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ ، في موضع الحال للمرأة أَى : بَدَتْ مشبهة البدر ، وإِذَا تَبَدَّى
ظرفٌ لما دَلَّ عليه كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى الفعل . أَى : بَرَزَتْ هذه المرأةُ كاشفةً عن وَجْهِهَا ،
كَأَنَّهَا قَدْ أُرْسِلَتْ نَقَائِبَهَا . وَدَلَّ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِ : كَأَنَّهَا بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى . وَإِنَّمَا فَعَلَتْ ذَلِكَ
إِمَّا لِلتَّشْبِيهِ بِالْإِمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ السَّيَّءُ ، أَوْ لِمَا تَدَاخَلَهَا مِنَ الرَّعْبِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
وَنِسْوَتُكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهُهَا يُخْلَنَ إِمَاءُ ، وَالْإِمَاءُ حِرَازُ

لقاء فتى جميل الوجه في الجنة :

ذكر المبرد عن أبي كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمرو النخعي قال :
كان بالكوفة فتى جميل الوجه ، شديد التعبد والاجتهاد . فَنَزَلَ في جوار قوم من النخع ،
فَنَظَرَ إلى جاريةٍ مِنْهُمْ جميلة ، فهُوِيَهَا وَهَامَ بِهَا عَقْلَهُ . وَنَزَلَ بِالْجَارِيَةِ مَا نَزَلَ بِهِ ، فَأُرْسِلَ يَخْطُبُهَا
مِنْ أَيْبِهَا ، فَأَخْبَرَهُ أَبُوهَا أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ لِابْنِ عَمِّهَا . فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيْهِمَا مَا يَقَاسِيَانِهِ مِنَ أَلَمِ الْهُوَى ،
أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ الْجَارِيَةُ ، قَدْ بَلَغَتْ شِدَّةَ مَحَبَّتِكَ لِي ، وَقَدْ اشْتَدَّ بِلَاثِي بِكَ ، فَإِنْ شِئْتَ زَرْتُكَ ،
وَإِنْ شِئْتَ سَهَلْتُ لَكَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى مَنْزِلِي . فَقَالَ الرَّسُولُ : وَلَا وَاحِدَةً مِنَ الْخَلَتَيْنِ
« إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتَ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » أَخَافُ نَارًا لَا يَخْبُو سَمِيرُهَا ، وَلَا يَخْمَدُ لَهْمُهَا .

فلما أبلغها الرسول قوله ، قالت : وأراه مع هذا يخاف الله . والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه ليشتركون . ثم انخلت من الدنيا ، وألفت علائقها خلف ظهرها ، وجعلت تتعبد . وهى مع ذلك تذوب وتنحل حباً للفتى وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك . فكان الفتى يأتى قبرها فيسكى عنده ، ويدعو لها . فغلبته عينه ذات يوم على قبرها ، فرآها فى منامه فى أحسن منظر . فقال لها : كيف أنت وما لقيت ؟ قالت :

نِعْمَ الْحَبِيبُ يَا سُوَيْلِي عَجَبْتُكُمْ حَبُّ يَقُودُ إِلَى خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ

فقال : على ذلك إلام صرت ؟ فقالت :

إلى نعيم وعيش لا زوال له فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مُلْكٌ لَيْسَ بِالْفَاقِي

فقال لها : اذكيرني هناك ، فإنني لست أنساك . فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد . فقال لها : متى أراك ؟ فقالت : ستأتينا عن قريب فترانا . فلم يعيش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات ، رحمه الله . وذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة ، وكان من عباد أهلها ، فسعى القس من عبادته . فرّ يوماً بجارية تمنى ، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاه . فأمر أن يدخل عليها فأبى . فقال له : فاقعد فى مكان تسمع غناءها ولا تراها . ففعل فأعجبته . فقال له مولاه : هل لك أن أحوّلها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثم أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشغف بها وشغفت به .

وعلم بذلك أهل مكة . فقالت له ذات يوم : أنا والله أحبك ، وأنا والله أحبّ ذلك . قالت : فما يذمك ؟ فإنّ للوضع خال ! قال لها : ويحك ، إني سمعت الله يقول : « الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ » . فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك فى الدنيا عداوة يوم القيامة . ثم نهض وعيناه تذرفان بالدموع من حبا !

تكنى المرأة بالشاة أو البيضة^(١) :

خرج الرشيدُ في بعض أسفاره . فأخرج معه أخته عُلَيَّةَ ، وكان قد بلنه أنها تُعَجَّب
بسلام له اسمه « رَشَا » فأبْغَدَه ، وقيل قَتَلَهُ . ثمَّ إنَّها علقت من بعده غلاماً آخر اسمُهُ
« طَلٌّ » فكانت تكثرُ من ذكرها له . فقال لها الرشيدُ : والله لئن ذكرتِه لَأَقْتُلَنَّكَ ،
فدخل عليها يوماً على حين غفلةٍ وهي تقرأ قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ » .
فلما شعرت به قرأت أول الآية « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » ثمَّ أَمْسَكَتْ حتَّى لا تذكر اسم
(طَلٌّ) وأكملت قائلة : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ . . . فإلذئ نهي عنه أمير المؤمنين » .
فأقبس الرشيدُ وقال لها : « ولا هذا أيضاً يا أُخَيَّةَ » .

وقيل إنَّه أخرج ذلك الغلام من قصره ، فطار قلْبُها حزناً لفراقه ، وقالت :
أَبَا سَرْحَةَ البُسْتَانِ طَالَ تَشَوُّقِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيلُ ؟
متى يشفى من لَيْسَ يُرَجَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
فانظر كيف وَرَّتْ « يَظَلُّ » عن طَلٍّ بعد أن قدِّمت ذكر السَّرْحَةِ . وهي الشجرة —
لتنسكن من لفظة ظَلٍّ فتبعد التَّهْمَةَ . وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السَّرْحَةَ أو الشاة أو
البيضة أو القلوص ، وهي الشابة من الإبل ، وتكنى بذلك عن المرأة .

وكانت أم حكيم من أجل نساء وقتها ومن أشجع الناس وأحسنهم بديهةً ، خطبها
جماعة من أشراف الخوارج فردَّهم ، وكانت مع أمير الخوارج قَطْرِيَّ بن الفجاءة ، في جُنْدٍ
(الأَبَاشِيَّةِ) فكانت ترتجزُ في تلك الحروب وتقول :

أَحْلُ رَأْسًا قَدْ سَمْتُ حَمَلَهُ وَقَدْ مَلَّتْ دَهْنُهُ وَغَسَلَهُ

أَلَا فَتَيَّ يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ ؟

والخوارج يُقَدِّمُونَهَا بِالْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، وكان « قَطْرِيَّ » يُشَبِّبُهَا . وفيها يقول
في وقعة دُولَاب ، وهو من رقيق النزل :

(١) في سناء الهندى ص ١٩٣ .

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ
 مِنْ الْخَلْفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يَرَّ مِثْلُهَا
 لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ الظُّمِّ وَجْهَهَا
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ
 غَدَاةَ طِفْتٍ عُلَمَاءَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ
 فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْمَصًا
 وَضَارِبَةً حَذًّا كَرِيمًا عَلَى فِتْنِي
 أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكْ مُوَطِنًا
 فَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ ذَاكَ وَخِيَلْنَا
 رَأَتْ فِتْنَةً بَاعُوا الْإِلَهَ نَفْسَهُمْ

وَفِي الْعَدِيشِ مَا لَمْ أَلْقَ « أُمَّ حَكِيمٍ »
 شَفَاءَ لَذَى بَثٍّ وَلَا لَسْقِيمٍ
 عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِدًّا لَيْسَ
 طِمَآنَ فِتْنِي فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
 وَغُضْبًا صُدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ تَعِيمٍ
 يَجُجُ دَمًا مِنْ فَايْظٍ وَكَلِيمٍ
 أَغْرَّ نَجِيبِ الْأَمْهَاتِ ، كَرِيمٍ
 لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ ، وَدِيرُ تَعِيمٍ
 تَبِيحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلِّ حَرِيمٍ
 بِجَنَّةٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَتَعِيمٍ

أَسْمَاءُ النَّسَاءِ^(١) :

ولابن الوردي في « أسما » :

أَرَى أَسْمَا إِذَا غَضِبَتْ وَصَدَّتْ
 وَإِنْ هِيَ وَاصِلَتْنِي طَابَ قَلْبِي
 وَفِيهَا أَيْضًا :

أَجْرَى مَدَامِ مَقَاتِي بَدَمَا
 مِنْ فَعْلِ ذَاكَ الْحَرْفِ فِي أَسْمَا

قَدْ لَامَنِي فِي حَبِّ أَسْمَا عَاذِلْ
 فَاجْجِبْ لِمَجْرَى مَدَامِ أَوْقَفْتَهَا
 وَفِي آمَنَةٍ :

قَدْ وَعَدْتَنِي بِالْوَفَا آمَنَهُ
 كَيْفَ يَخَافُ الْقَلْبُ مِنْ يَلِينِهَا

وَقَدْ غَدَتِ بِالرِّضَا آمَنَهُ
 وَمَهْجَتِي أَضْحَتْ بِهَا آمَنَهُ

(١) الجزء رقم ٩٤٨ شعر تيمور .

وفيهما أيضاً :

هيفاء كالنصن الرطيب قوامها
تهدّنى بالمحجر فى الوصل عادداً
ولالأزهرى فى أنس :

آنست بالوصل مذ جاءت به أنس
عن مالك قد روى نيران وجتها
وله فى حليلة :

قالوا حليلة صبحت
لم لا ترقّ لحالى
وفى خديجة :

خديجة قد سبّنى
وكانت الروح تقسو
وفيهما أيضاً :

نمشق فى الهوى قلبى فتاة
أموت بحبها شوقاً وأحيا
وفى زينب :

وعرض بذكرى حين تسمع زينب
عساها إذا ما مرّ ذكرى بسمها
وفى سلمى :

لسلمى من لوحظها سهام
إذا رامت تشكّ به فؤاداً
وفى عائشة :

أيا دهرُ خبّرني بِحَقِّكَ واشفِني
أيملُ أنّى فى المحبة ميتُ
فسهام فكري فى أمورى طائشة
وحبيبتى من بعد موتى عائشة

وفيها أيضاً :

شُئِلَ القلبُ بقدَّ أهيفٍ تركت منه العوالى طائِشَه
أَمَتَ دعنى أن أُمُتَ فى حبِّها ثمَّ دعها بعد عيني عايشَه

وفى فاطمة :

فاطمةُ مذ كنتُ طفلاً بها متُّ جوى وهى بذأ عالمه
كم أرضعتنى وصلها بالهنا ثم انثنت لى بأُتْها فاطمه

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن لها قامه عادلةٌ مع أنَّها ظالمه
قد أرضعت طفل الهوى مرَّة بوصلها ثمَّ أنثنت فاطمه

وفيها أيضاً :

قأتانى قد أصبحت والبحر منها كاطمه
ناديتها يا مهجتي ما الاسم ؟ قالت : فاطمه

ولالأزهرى فى نقيسة :

نقيسة بالها ملكت فؤادى وأنحنت فى ملاحتها رئيسَه
وقد حازت لفرط سنا بهاها وذات الحسن مرتبة نقيسة

ولابن الجليل فى طالة :

طالة عاملة بالجفاء قائمها عادلة ظالمه
قلتُ لها هل تعلمين الذى ألقاه قالت إننى عالمه

وله أيضاً - فيها :

طالة لها على كرسيتها فضلٌ جسيم
وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم

ولابن الوردى فى قابلة :

أقول لقابلة أدمى على حبها تقطع السابله
أنا رجلٌ مقبل للقا قالت وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة :

كاتبة توقيع نسخ الجفا
يصدر عن ممتها الراحمة
تسكن أمرار رقاى لها
أحسن بها كاتبة كاتمة

وله في فقيهة :

تفقت في عذابى
وبالت في جدالى
خود تسيط غراى
عن طرفها النزالى

ولالأزهرى - في خياطة :

أحببها كالبدر خياطة
منزلها في القلب والطرف
فلى ركوب الفرج من وصلها
وللرقب الشل بالكف

وله في عجانة :

كف الفؤاد بظبية عجانة
ما كنت يوماً آمناً من هجرها
عجنت فؤادى بالنرام فؤاها
من أدمى ودقيقها من خصرها

وله في جبانة - أى بائمة الجبن :

بايمة جبن مُدْهِمَتْ بها
رأى الورى روحى بها تمبانه
وكل أهل الحى قد تحققوا
بأننى أموت في الجبانة

وله في مسخرة :

عجبت في رمضان من مسخرة
بديمة الحسن إلا أنها ابتدعت
جاءت تسخرنا يوماً فقات لها
كيف السخور وهذى الشمس قد طلعت

ولا بن الوردى في رومية :

رومية الأصل لها مقلة
تركيّة صارمها هندى
تفضحنى وجنّها فاعجبوا
من وجنة فائحة الوردى

وله في مصرية :

مصرية كاتها بدر
فخل من خلق
تملبنى مكرأ ولا
ينكر من مص الملق

وله في شامية :

شامية شامة بوجتها
أخشى من اللامة إذا قبلتها
يرق لي في حبها الشامة
فشوم بخني يطق الصامت
وله في بدوية :

وب من البدو كلاء الجفون بدت
فاو بدت لسان الحضرة قن لها
في قومها كهة بين أساد
على الرؤوس وكان الفضل للبادي
وله في عراقية :

بي هيفاء من بنات العراق
ثم قالت : أتيت من باب ابرز
أطلقت أدمعي وشدت وثاق
بالعطايا رأيت باب الطاق
وله في مشرقية :

جاءت من المشرق لا مالنا
وقالت : احذر يا فتى فتنة
في عينها شيء ولاجا هنا
للناس ، والفتنة من هاهنا
وله في مغربية :

يابنات الشرق حاذرن السطأ
ماظهر البدر من مشرقه
إن بنت الغرب في موكها
كطلوع الشمس من مغربها
ولالأزهرى في مجوسية :

عابدة النور سنا نورها
قد أحرقت قلبي بهجرانها
أوضح لي في الحب أعدارا
فالويل ممن يعبد النارا
وله في نصرانية :

زئار بنت النصارى
رجاني الشد منه
فخ لها أي فخ
وكثرة الشد ترخي

وقال آخر في مليحة تالمب بالشرطيح
لاعبتها بالشرطيح ثم ضربتها
بالرخ شاة تسترت بالفيل
لكن خذي فرسي هناك وفيلي
قالت : فنفسك ، قلت : حصنتها

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما^(١) :

قيل لأبي السائب المخزومي : أترى أحداً لا يشتهي السيب ؟

فقال : أَمَا من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا !

والنَّسِيبُ والتَّغْزُلُ والتَّشْيِيبُ كلها بمعنى واحد .

قيل : الغزل هو إلفُ النساءِ والتَّخَلُّقُ بما يوافقهن ، فن جملة بمعنى التغزل فقد أخطأ .

وقد نبّه على ذلك « قُدَّامة » وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .

وقال الحاتمي : من حكّم النَّسِيبَ الذي يفتتح به الشاعر كلامه ، أن يكون مزوجاً

بما بعده من مدحٍ أو ذمٍّ ، متصلاً به غير منفصل منه ؛ فإن القصيدة مثلها مثلُ خلقِ الإنسان

في اتِّصالِ بعض أعضائه ببعض ، فبقي انفصل واحد من الآخر وبات به في صِحَّةِ التركيب ،

غادر بالجُنبِ عاهةً تتخوّنُ محاسنَه وتُفني معالمَ جلاله .

باليل الصب متى غده^(٢) ؟ :

من نوادر الطرائف ما ذكره « ابن بشكوال » في كتاب العلة . كما ذكره الحميدى أيضاً .

وهو : كأن أبو الحسن ، على الحصري القيرواني ، ابن خالة أبي إسحاق صاحب « زهر الآداب »

حافظاً فافها ، وأديباً علماً بالقراءات وطرقها .

وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في « سَبْتَةٍ » وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات

نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر . ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة

التي أولها :

(١) في العمدة : لابن وشيق ج ٢ ص ٩٤ (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣٢٤

بالبَّالِ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد الكنانى أبو الفضائل المروفي
بالقمر اوى رحمه الله بأبيات من جملتها :

قد مَلَّ مَرِيضُكَ عُوْدُهُ	وَرَقَى لِأَسِيرِكَ حُسْدُهُ
لَمْ يُبْقِ جَفَاكَ سِوَى نَفْسِ	زَفَرَاتُ الشَّوْقِ تُصْعِدُهُ
هَارُوتُ يَمْنَعُنِي فِي السَّحَرِ	يُؤَسِّنُهُ
وَإِذَا انْغَمَدْتَ اللَّحْظَ فَتَكُ	مَتَ فَكَيْفَ وَأَنْتَ بَجَرْدُهُ
كَمْ سَهَّلَ خَذُكَ وَجْهَ رِضَا	وَالْحَاجِبُ مِنْكَ يُعَقِّدُهُ
مَا أَفْرَكَ فِيكَ الْقَلْبَ فَكَمْ	فِي نَارِ الْهَجْرِ يُخَلِّدُهُ

أما قصيدة أبي الحسن على الحصرى القيروانى فعلى :

بالبَّالِ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ	أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقَدَ السُّمَارُ فَأَرْقَهُ	أَسْفُ لِلْبَيْنِ يَرُدُّهُ
فَبَكَاهُ النَّجْمُ وَرَقَى لَهُ	مِمَّا يَرْعَاهُ وَيَرْصُدُهُ
كَلِفَ بَغْزَالِ ذِي هَيْفٍ	خَوْفَ الْوَاشِيْنَ يَشْرُدُهُ
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكَا	فِي النَّوْمِ فَمَزَّ تَصِيدُهُ
وَكُنِي عَجْبَا أُنَى قِنَصٍ	لِلسَّرِبِ سَبَانِي أُغِيدُهُ
صَنَمٌ لِلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ	أَهْوَاهُ وَلَا أُتَعَبُهُ
صَاحِ وَالْخَمْرُ جَنَى فَمِهِ	سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِبُهُ
يَنْصُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفًا	وَكَاَنَّ نُمَاسًا يُغْمِدُهُ
فَيَرِيْقُ دَمُ الْعُشَاقِ بِهِ	وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ
كَلَا ، لَأَذْنَبَ لِمَنْ قَتَلْتُ	عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَا بَنَ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي	وَعَلَى خَدَّيْهِ تَوْرَدُهُ
خَذَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدَمِي	فَعَلَامَ جُفَوْنِكَ تَجْعُدُهُ

إِنِّي لِأُعِذُّكَ مِنْ قَتْلِي وَأُظَنِّكَ لَا تَعْمَدُهُ
بِاللَّهِ هَبِ الْمُسْتَقَاتَ كَرِّى فَلَمَلَّ خِيَالَكَ يُسْعِدُهُ
مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنِّى صَبَّ يَدُنِيكَ وَتُبْعِدُهُ
لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلْيَبْكِ عَلَيْكَ عَوْدُهُ
وَعَدَا يَقْضِىْ أَوْ بَعْدَ عَدِي هَلْ مِنْ نَظَرٍ . . . بَرَّوْدُهُ
يَا أَهْلَ الشَّوْقِ لَنَا فَرَقٌ بِالْأَمْعِ يَفِيضُ مُورْدُهُ
يَهْوَى الْمُسْتَقَاتُ لِنَاءَكُمْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَبْعِدُهُ
مَا حَتَّى الْوَصْلَ وَأَعَذْبَهُ لَوْلَا الْأَيَّامُ تُسَكِّدُهُ
بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرَانِ ، فَيَا لِفُؤَادِي كَيْفَ تَجَدُّدُهُ
الْحَبِّ أَغْفُ ذَوِيهِ أَنَا غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُهُ

استحسنان وصاة الوجه^(١) :

كان لعز الدولة غلام ذكى وضىء الوجه ، ولفرط ميله إليه - جملة رئيس سرية جردت للحرب ، ولم يستحسن المهيلى ذلك منه ، فكتب إليه :

ظَبِّي يَرْقُ الْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيُرْوَقُ ، عَوْدُهُ
نَاطُوا بِمَعْدَرِ خَصْرِهِ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تَوُوْدُهُ
جَمَاسُوهُ قَاتِدَ عَسْكَرِ ضَاعَ الرَّعْبُ وَمَنْ يَقُوْدُهُ

وكافت الدائرة على جيش النلام كما أشار المهيلى ! .

وفي « خزنة الأدب » للبندادى ج ٣ :

الجلارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، والجميلة هى التى تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة هى التى كلما كررت بصرك منها زادتك حسنا .

(١) فى فتح العليب .

وقيل : الجميلة هي السَّمينَة من الجميل وهو الشحم . والمليحة : هي البيضاء ، والصبيحة كذلك ، من الصُّبح لبياضه .

وروى أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « حُسْنُ الْوَجْهِ مَالٌ » .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « اطلبوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » .

وقال ابن عمر : قال صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةٌ تَعْجَلُو الْبَصَرَ : النَّظَرُ إِلَى الْخَضِرَةِ ،

وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ » .

ونظمها الشاعر فقال :

ثَلَاثَةٌ يَذْهَبْنَ لِلْمَرْءِ الْحَزْنَ الْمَاءُ ، وَالْخَضِرَةُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنُ

كواكب لا كواعب :

كان عبد العزيز بن سرايا ، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق . وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطيع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء ، كما قد أزرى زهر الأرض في الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المعسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسالوة .

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ . ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه ، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها : « بأبي السَّمُوسِ الجَانِحَاتِ غَوَارِبَا » وفيها يقول :

أَسْبَلْنَ مِنْ فَوْقِ الْهُودِ ذَوَائِبًا	فَرَسْنَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْعَةً	غَادَرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا
بِغَضِّ دَهَانِ النَّبِيِّ كَوَاعِبًا	وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدُ قَالَ كَوَاكِبًا

سَقَنَ رَأَى الْمَانُويَّةِ عِنْدَمَا
 وَسَفَرُنْ لِي، فَرَأَيْتُ شَخْصًا حَاضِرًا
 أَهْمَقْنَ فِي حُلْمِهِ كَأَنَّ أَدِيمَهَا
 وَغَرَبْنَ فِي كِلَلِهِ، فَقُلْتُ لَصَاحِبِي:
 وَمُعْرِيدَ اللَّحْظَاتِ يَغْنَى عِظْفُهُ
 حُلُوُ التَّمَتُّبِ وَالِدَّلَالِ يَرُوعُهُ
 عَابَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ
 فَأَرَانِي اخْدَعَ الْكَلِمَ فَطَرَفُهُ
 ذُو مَنَظَرٍ تَفْدُو الْقُلُوبُ بِحُسْنِهِ
 لَاغْرَوْ إِنْ وَهَبَ اللَّوَاظِظَ حَظْوَةً
 اسْبَلْنَ مِنْ ظَلَمِ الشُّعُورِ غِيَابَهَا
 شُدِّهَتْ بِصَبْرَتِهِ، وَقَلْبًا غَائِبًا
 شَفَقْتُ تَدْرِهُمُهُ الشُّمُوسُ جَلَابِيًا
 «بِأَيِّ الشُّمُوسِ الْجَانَحَاتِ غَوَارِيًا»
 فَيُخَالُ مِنْ فَرَجِ الشَّيْبَةِ شَارِبًا
 عَتِي، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبًا
 وَازُورَ الْحَاظِلَ وَقَطَبَ حَاجِبًا
 ذُو النُّونِ إِذْ ذَهَبَ التَّدَاةُ مُعَاذِبًا
 نَهَبًا وَإِنْ مَنَحَ الْعِيُونَ مَوَاهِبًا
 مِنْ نُورِهِ، وَغَدَا لِقَابِي نَاهِبًا

كل فتاة بأبيها معجبة^(١) :

أرجوزة للأغلب المجلى، يقول فيها :

كَرِيمَةُ أَخْوَالِهَا وَالْمَصْبَةُ
 قَبَاءُ ذَاتُ سُرَّةٍ مُعْجَبَةُ
 كَأَنَّهَا حَقَّةٌ مِسْكٍ مُدْهَبَةُ
 مَمْكُورَةُ الْأَعْلَى رَدَاخُ الْحَجَبَةُ
 كَأَنَّهَا حِلْيَةُ سَيْفٍ مُدْهَبَةُ
 أَهْوَى لَهَا شَيْخٌ شَدِيدُ الْمَصْبَةُ
 ثُمَّ انْتَبَتْ بِهِ فَوَيْقَ الرَّقَبَةِ
 فَأَعْلَنْتَ بِصَوْرِهَا : أَنْ يَا أَبَنُ

« كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ »

(١) في خزانة الأدب ج ١ : أرجوزة للأغلب المجلى يقول فيها :

أصل بليتي من قد غزاني ^(١) :

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغابي السعدي الصقلي المعروف
بالقاضي الجليس - ما يدعو إلى الحكمة في غزله - وقد عاش نحواً من سبعين عاماً - كما تولى
ديوان الإنشاء للفارز مع الموفق بن الخلال ، ومن مداعبته :

حيّا بتفاحة مخضبة من شَفَقَتِي حُبّه وَيَمِينِي
فقلتُ : ما إن رأيتُ مُشَبَّها فاحمرّ من خَجَلَةٍ فَكَذَّبَنِي
وقال أيضاً :

وأصلُ بليّتي من قد غزاني من السَّقمِ المُلِحِّ بِمَسْكِرَيْنِ
طبيبُ طَبِّهِ كغرابٍ بَيْنِ يُفَرِّقُ بَيْنَ عَافِيَتِي وَبِدِينِي
أنى الحُمَى وقد شَاخَتْ وَبَاخَتْ فعادَ لها الشَّبَابُ بِسَخْتَيْنِ
ودَبَّرَها بِتَدْيِيرٍ لَطِيفٍ حَكَاهُ عَنْ سُنَيْنٍ أَوْ حُنَيْنِ
فكانت نوبةً في كلِّ يومٍ فصيرَها بِحَذَقٍ نَوْبَتَيْنِ

وقال أيضاً :

يا وارثاً عن أبٍ وجَدِّه فضيلةَ الطبِّ والسَّدَادِ
وحاملاً ردَّ كلِّ نَفْسٍ هَمَّتْ عَنْ الجِسمِ بِالْمَادِ
أُقسِمُ لو قد طببت دَهْرًا لماد كَوْنًا يَلَا فسادِ

وقال من جناس بديع :

رُبَّ بَيْضٍ سَلَّكَ بِاللَّحْظِ بَيْضًا مَرَهَفَاتٍ جُفُونُهُنَّ جُفُونُ
وخُدودٍ للدمع فيها خُدودُ وعُيُونٍ قَدْ فَاضَ مِنْهَا عُيُونُ

(١) في فوات الوفيات .

وقال أيضاً :

حَبَّذَا مُتَعَةُ الشَّبَابِ يُهْ ذَرُّ فِي حُبِّهَا خَلِيعُ الْعِدَارِ
إِذْ يَذَاتِ الْحَارِ أُمْتَعُ كَلِي وَبَذَاتِ الْخِمَارِ أَلْهُوَ سَهَارِ
وَالنَّوَانِي لَا عَنْ وَصَالِ غَوَانِ وَالْجَوَارِي إِلَى جَوَارِي جَوَارِ

تشييب عمر بن أبي ربيعة :

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، مديدة الجسم مكنترة اللحم ، على جانب وافر من الجمال ، حسنة الصورة ، وفي خلقها ألفة وعزة وصرامة ، حتى أن أباه ريرة رآها يوماً فسبح وقال : كأنها من الحور .

وقد روى أبو الحسن الدائمي ، عن عمر وأبي طارق بن المبارك ، أن عمر بن أبي ربيعة قال يشيب بعائشة ابنة طلحة :

أصبح القلبُ في الخيال رهيناً مقصداً يوم فارق الظاعيناً
لم يرعنى إلا الفتاة وإلا دمماً في الرداء سيحاً سخيناً
عجّلت حمةً الفراق عليّ برحيلٍ ولم تخف أن تبيناً
أنتِ أهوى العبادِ قُرباً ووُداً لو تَوَاتَيْنَ عاشقاً محزوناً
قاده الطرفُ يوم مرّ إلى الحية نـ جهاراً ولم يخف أن يحينا
وجلاً برد بركة جندي ضوء وجهه يضيئ لنا ظريناً
فإذا ظبية ترائى نواجياً ومهاً بهج الناطر عيناً
قلتُ : من أنتم ؟ فصَدَّتْ وقالت أُميدٌ سؤالك العاليناً ؟
قلتُ : بالله ذي الجلالة لَمَّا إِذْ تَبَلَّتِ الْفَوَادُ أَنْ تَصْدَقِينَا
أَيَّ مَنْ تَجْمَعُ الْوِاسِمُ أَنتُمْ فَأَيُّنِي لَنَا وَلَا تَكْذِبِينَا

نحن من ساكني العراقِ وكُنَّا قبلها قاطنينَ مكةَ حيناً
 قد صدقناكِ أن سألتِ فنُ أ: مِ عسى أن يَجُرَّ شَأْنُ شَوْوَنَا
 قد نرى أننا عرفناكِ باللهِ تِ نَظُنُّ وما قَتَلْنَا يَقيَنَا
 بِسَوَادِ الثَّلاثِيَّينِ وَتَغْمِرُ قد رآهُ لِنَاطِرِ مُسْتَبِينَا
 . فكانت عائشة تقول : والله ما قلتُ له هذا وما كلمته قط .

وأبناءنا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال : دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن
 عبد الملك فحدثته وقالت : يا أمير المؤمنين ، مرُّ لي بأعوان ، فصير إليها قوماً يكونون
 معها ، فحجّت ومعهما ستون نبلاً عليها الهودج والرحائل .

صُبْحُ المَشِيبِ يَدُلُّ على ليلِ الشَّبابِ ^(١) :

قال الأمير أسامة بن منقذ :

قالوا نِهاه الأربَعُونَ عن الصِّبَا وَأَخُو المَشِيبِ يَجُوزُ ثَمَّةً يَهْتَدِي
 كم حار في ليلِ الشَّبابِ ، فدَلَّهُ صُبْحُ المَشِيبِ على الطريقِ الأَقْصَدِ
 وإذا عددتِ سِنِيَّيَ نَمِّ تَقْصِصِهَا وَمِنَ المَهْمُومِ ثَبَلَكِ سَاعَةَ مَوْلَدِي

الشاعر الغزال ^(٢) :

من روائع البيان ما حكاه ابن حيان ، من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم
 لمرواني ، وجّه شاعره الغزال ، إلى ملك الروم ، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة الماني
 يخف على قلبه ما احتواه من دقة الماني ، وسرّ به سروراً عظيماً ، ونال من لدنه
 جُداً وتكريماً ، حتى إنه مال إليه ، وقرّبهُ لَدَيْهِ ، فطلب منه منادمته ، إلا أنه امتنع لما أدرك
 جليلة الأمر ممتدراً بتحريم الخمر .

(١) في خلاصة الأثر ج ٣ ص ٢٦ . (٢) في فتح الطيب ج ١ ص ٤٥٦ .

فلما أن كان يوماً بالسا عندة، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها. ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالعة حسناً وضياءاً، فما لَبِثَ النزالُ لا يعيل طرفه عنها شفقاً بياهر ما استرعاها منها، وجعل الملك يحدُّثُه وهو لا يحدِّثُه عن حديثه. فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله. فقال له: عرفته أُنِّي قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه، فإنى لم أَر قط مثلاً. وأخذ فى وصفها وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكأنما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك للملك الروم، زاد إعجابه بالشاعر النزال. كما سرَّت الملكة بوصفه لها.

غزالٌ قد غزا قلبي^(١) :

فى كتاب «المطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن النزال، وشهرة اسمه «غزال» أرسل إلى بلاد الجوس، وقد قارب الخمسين أو تزيد، وقد وخطه الشيبُ ولكنه كان مجتمع الأشد، ضليع الجسم، قسيماً وسيماً، فسألت يوماً زوجة الملك، واسمها (تود) عن سنه. فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيبُ؟ فقال: وما تنكرين من هذا؟ ألم ترى قط مهرأً ينتج وهو أشهب؟ فأعجبت بقوله، وقال فى ذلك:

كَلَّفَتْ بِأَقْلِي هَوًى مُتَعَباً	غَالِبَ مِنْهُ الضَّيْعَمُ الْأَغْلَبَا
إِنِّى تَعَلَّقْتُ بِجَوْسِيَّةٍ	ثَابًى لَشَمْسِ الْحُسْنِ إِنْ تَرُبَا
أَفْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِى حَيْثُ لَا	يُلْفَى إِلَيْهِ ذَاهِبٌ مَدَّهْبَا
يَا تَوُدُّ يَا وَرَدَ الشَّبَابِ الَّذِى	تُطْلِعُ مِنْ أَزْرَارِهَا الْكَوْكَبَا
يَابِئَانِى الشَّخْصُ الَّذِى لَا أَرِى	أَحْلَى عَلَى قَلْبِى وَلَا أَعْدْبَا
إِنْ قُلْتُ يَوْمًا إِنْ عَيْنِى رَأَتْ	مُشَبِّهَةً لَمْ أَعُدْ أَنْ أَكْذِبَا
قَالَتْ: أَرِى (فَوَدَّيْهِ) قَدْ نَوَّرَا	دُعَابَةً تُوجِبُ أَنْ أَدْعِبَا

(١) فى فتح الطيب ج ١ ص ٤٥٠ .

قلت لها : ما باله ... إنه قد يُنتج المهر كذا أمهبا
فاستضحكت عجباً يقول لي لها وإنما قلت ليكي تعجبا
قال : ولما فهمها - الترجمان - شعر « غزال » ضحكت، وأمرته بالخصاب ففدا عليها،
وقد اختضب وقال :

بَكَرْتُ تُحَسِّنُ لِي سَوَادَ خِصَابِي فَكَأَنَّ ذَاكَ أَعَادَنِي لِشَبَابِي
مَا الشَّيْبُ عِنْدِي وَالْخِصَابُ لَوَاصِفٍ إِلَّا كَشَمْسٍ جُلَّتْ بِضَابِي
تَخْفَى قَلِيلًا ثُمَّ يُقْشِمُهَا الصَّبَا فَيَصِيرُ مَا سَتَرْتُ بِهِ لَهَا بِي
لَا تُنْكِرِي وَضَحَ الشَّيْبِ فَإِنَّمَا هُوَ زَهْرَةُ الْأَفْهَامِ وَالْأَلْبَابِ
فَلَدَيْ مَا تَهْوِينِ مِنْ زَهْوِ الصَّبَا وَطَلَاوَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ

غرام أم جنون :

من الشعر الرائق ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف
عجوبته ، ولم يعين لها اسماً - حتى لا يشهر بها في التشبيب ، ولكيلا يعرفها عند العام ،
إلا لمن لمس ودادها من الخاص ، وفي الأبيات التي يناجها بها معانٍ قد جمع فيها حسن التعبير ،
سحراً حلّالاً . وكان عفيفاً في دقة نظمه ، وصفاء تعبيره ، فقال :

تَمَكَّنَ مِنِّي السَّقَمُ حَتَّى كَأَنِّي تَوْهُمُ مَعْنَى فِي حَفِيٍّ سُؤَالِ
وَلَوْ سَاعَتَ عَيْنَاهُ عَيْنِي فِي الْكَرَى لِأَشْكَلَ مِنْ طَيْفِ الْخِيَالِ خِيَالِ
سَمِعْتُ بُرُوحِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ وَجُدْتُ بِقَلْبِي وَهُوَ عِنْدِي غَالِي
وَقَدْ خِفْتُ أَنْ تَقْضَى عَلَيَّ مَنِيَّتِي وَلَمْ أَقِضْ أَوْطَارِي يَوْمَ وَصَالِ
وَهَوَّنَ مَا لَقِيَ مِنَ الْوَجْدِ أَنَّهُ صَدُودُ دَلَالٍ لِاصْدُودِ مَلَالِ
فَلَوْ كَانَ ذَاكَ الصَّدُّ مِنْهُ مَلَالَةٌ شَدَدْتُ عَنْ الدُّنْيَا مِطْيَ رَحَالِ

ثمّ مالبت أن استرسل في مواجيدته ، واستلهم مشاعر أناسيده . فقال :

ما بالُ قلبك يستبين أبى غرامُ أم جنوب
 برَحَ الخَفَاءِ بما تجنّ فأذهب الشكَّ اليقين
 حتّى مشى بين الجوا نَحْ والضواعر هوى ذفين
 وإلى متى قلبُ التَّسليمِ في يدِ الباوى رهين
 شَخَصَتْ له فيكَ العيوى ن وقُسمَتْ فيكَ الظُّنون
 وسكبتَ ألبابَ الورى بلا حظٍ فيها فتور
 وقوامُ أغصان الرّيا ض وأين تدركُك النُّصون
 الحسنُ في الأغصان فنّ وهو في هذا فنون
 من أين للأغصانِ ذا لك الحسنُ والسَّحرُ المبين ؟
 أم ذلك الورْدُ الجنىّ بخدِّه والياسمين ؟

ملعوس وسلمسة^(١) :

قال إبراهيم بن المهديّ : كنت يوماً بحضرة المأمون ، فقالت لي « عريب » على سبيل
 العبث : يا سلموس . فقلت :

أما لعريب أن ترى غير سلمسة فكوني كما أنت ، تكوني كمؤنسة
 فقال المأمون على الفور :

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هُنالك شكٌّ أن ذلك وسوسة
 قال إبراهيم : فمجيبت من فطنة المأمون . وقلت :

كذا - والله - يا أمير المؤمنين قدّرت ، وإيَّاه أردت !

(١) في إرشاد الأدب ج ١ ص ١٦٣ .

عاتكة بنت معاوية :

حدثني الكُراني قال : حدثني العمري عن الهيثم بن عديّ - قال : حدثنا صالح ابن حسان - قال : وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن العريز بن - قال : حدثني محمد ابن عمر - قال : حدثني محمد بن السريّ - قال : حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد ، واللفظ لصالح بن حسان ، وخبره أمّ . قال : حجّت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان - فنزلت من مكّة بذي طوى ، فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ واقطع الطريق ، وذلك في وقت الهجرة ، إذ أمرت جواربها فرفعن السّتر وهي جالسة في مجلسها ، عليها شفوف لها ، تنظر إلى الطريق ، إذ مرّ بها أبو دهبيل الجمحيّ - وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظرًا . فوقف طويلًا ينظر إليها وإلى جمالها ، وهي غافلة عنه ، فلما فطنت له سترت وجهها ، وأمرت بطرح السّتر . وشمتمته ، فقال أبو دهبيل :

إني دعائي الحين فافتادني	حتى رأيت الظبي بالباب
يا حسنه إذ سبني مذبرًا	مستترًا عني بحجاب
سبحان من أوقعها حسرة	صبت على القلب بأوصاب
يدود عنها إن تطلبنها	أب لها ليس يوهاب
أحلفا قصرًا منيع الذرى	يحمي بأبواب وحجاب

وقال أيضًا :

طال ليلى وبث كالمحزون
وملئت النواء في جبرون
وأطلت القام بالشام حتى
ظن أهلي مرجعات الظنون
فبكّت خشية التفرق جمل
كبكاء القرين إثر القرين
وهي زهراء مثل لؤلؤة الفواص
ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبها لم تحبها
في سناء من الكارم دون
ثم حاصرته إلى القبة الحض
مراء تمشى في مرم مستون

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ صَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ
عَنْ يَسَارَى إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِ
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سُقْيِي وَتَقَلَّبْتُ كَيْسَانِي فِي فُنُونِ
كَيْتَ شِمْرِي أَمِنْ هَوَى طَارَ نَوَى أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجُنُونِ

* * *

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح :

قال ابن بسام^(١): كان الملتصم بن صمادح، يوماً مع ندائه. فأبرز لهم وصيفة مهدوية متصرفة في أنواع اللب المطرب من الدك. وحضر أيضاً هناك لاعب مصري ساحر، فكان لعبه حسناً، فارتجل أبو عبد الله بن الحداد :

كَذَا فَلْتَلُحْ قَمَرًا زَاهِرًا وَتَجْنِي الْهَوَى نَازِرًا
وَسَيِّبُكَ سَيْبُ نَدَى مُنْدِقٍ أَقَامَ لَنَا هَامِيًا هَامِرًا
وَبَانَ لِيَوْمِكَ ذَا رَوْنَقٍ مُنِيرًا كَنُورِ الضُّحَى بَاهِرًا
صَبَاحَ اضْطَبَّحْنَا بِإِسْفَارِهِ لَحْظَنَا مُحْيَا الْعَلَا سَارِفًا
وَأَطْلَمَتْ فِيهِ نَجْمَ الْكُؤُوسِ فَمَا زَالَ كُوكِبُهَا زَاهِرًا
وَأُسْمَعَتْنَا لَاحِنًا فَاتِنًا وَأَحْضَرَتْنَا لِأَعْيَا سَاحِرًا
وَتَنَاءَ ثَابِ لَآلِمَائِهِ دَقَائِقُ تَنَنِي الْحِجَا حَاطِرًا
وَفِي سَوْرَةِ الرَّاحِ مِنْ سِحْرِهِ خَوَاطِرُ ، ذَلَّهِتِ الْخَاطِرَا
إِذَا وَرَدَ الْآحِظُ أَثْنَاءَهَا فَمَا الْوَهْمُ عَنْ وَرْدِهَا صَادِرًا
وَمِنْ حَسَنِ دَهْرِكَ إِبْدَاعِهِ فَمَا انْفَكَّ عَارِضُهَا مَاطِرًا
وَسَعْدُكَ يَجْتَلِبُ الْمَغْرِبَاتِ فَيَجْعَلُ غَائِبَهَا حَاضِرًا

* * *

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان :

أهدى المنذر الأكبر^(١) إلى أنوشروان ، جارية كان أصحابها إذ غار على الحارث الأكبر بن أبي شمّر النسائي ، وكتب إلى أنوشروان يصفها فقال :

إني قد وجهتُ إلى الملك جاريةً مُتعدلة الخلق ، نقيّة اللون والثغر ، بيضاء قمراء ، وطفاء كحللاء ، دُعجاء عَيْناء ، قنواء شماء ، برّجاء زجاء ، أسيلة الخدّ ، شهية القبل ، جثلة الشعر ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القرط ، عيطاء عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة شاش المنكب والعنق ، حسنة المعصم ، لطيفة الكفّ ، سبطلة البنان ، ضامرة البطن ، خميصة الخصر ، قرنى الرشاح ، رداح الإقبال ، رابية الكفل ، لقاء الفخذين ، رياء الرؤوف ، ضخمة الماكمتين ، مُفعمّة الساق ، مشبعة الخنخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشي ، مكسال الضحى ، بضّة المتجرّد . وهى سموع للسيد ، ليست بخنساء ولا سقماء ، دقيقة الأنف ، عزيزة النفس ، لم تُند في بؤس ، رزينة حليلة ، ركيئة ، كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصاحتها ، وتستغنى بفصيلتها دون جُماع قبيلها ، قد أحكمتها الأمور في الأدب ، فرأى أهل الشرف ، وعلمها عمل أهل الحاجة ، صداع الكفّين ، قطيعة اللسان ، رهوة الصوت ، ساكنة ، تزين الولي ، وتشين الندو . إن أردتها اشتيت ، وإن تركتها انتهت .

فارس عربى جميل :

حكى حمد بن إسحاق^(٢) قال : كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار . وأميل إلى ذكر أيام العرب ، وأحب أن أسمعها وأجمعها ، فنزل علينا في بعض الأيام فتيتان من بنى تملكة ، فذهبت إليهم لأسمع من أشعارهم وأجمع من أخبارهم ،

(١) في العزيز المحلى ص ٧٦٢ .

(٢) في الأغاني ج ٢ ص ٢٩ .

فردت بفناء بَخِيمَةٍ ، وإذا غلامٌ ما رأيتُ مثلهُ قَطَّ حُسْنًا وَجَلًّا . له ذؤابتان كأنهما السَّيْحُ المنظومُ، تحت ذلك وَجْهٌ كالقمر ليلةَ تَمَّةَ . وعنده امرأةٌ أَحْسَنُ منه وأَجَلُّ، وأكثرُ ما أسمعُ من كلامها (يا بُنَى) ، وهو يَبْتَسِمُ لها وقد غلب عليه الحياءُ كأنه كاعِبٌ عذراءُ، ولا يَرُدُّ لها جوابًا من الاستحياء . فاستَحَسَّنتُ ما رأيتُ منهما، فدنوتُ من الخباءِ، فَبَصُرَتِ المرأةُ بى . ثم قالت لى : يا حَضَرِى ، ما حاجتُكَ ؟ . فقلت : لاجلِ لى إلَّا الذى استَحَسَّنتُ مِنْكَ مِنْ هذا النُّلامِ . فقالت : أتحبُّ أن أسمعَكَ شيئًا من خبره ، وهو خيرُك من نَظَرِهِ ؟ . فقلت لها : ها تِلْكَ دُرُّ أَيْيَكِ . فقالت لى : إني حملتهُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، فكنَّا فى عَيْشِ صُنِّكَ كَكِدْرِ ، ورزقي نَزَرٌ حَقِيرٍ ، حتَّى إذا شاءَ اللهُ أن أضْمَعَ، فوضعتُه - بحمدِ اللهِ خَلْقًا سَوِيًّا ، فلا وأَيْيَكِ ما هُوَ إلَّا أن وضعتُه حتَّى منَّ اللهُ عَلَيْنَا ، وأَجَزَلَ وَسَهْلًا وتَفَضَّلَ ، يُبَيِّنُ وَجْهَهُ وسَمَاعَةَ طَلْعَتِهِ . فَسَمَّيْتُهُ (مَالِكًا) ثم أرضعتهُ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ . فلما استمَّ الرِّضَاعُ ، نَقَلْتُهُ مِنَ الْمَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيهِ ، فَنَشَأُ بَيْنَنَا كَأَنَّهُ شَيْلُ أَسَدٍ ، نَقِيهِ بَرْدَ الشِّتَاءِ وحرَ الصَّيْفِ . فلما مرَّ عليه خَمْسَةُ أَعوامٍ ، دَفَعْتُهُ إِلَى مُؤَدِّبٍ يُكَلِّمُهُ الْقُرْآنَ ، فقرأهُ وتَلَاهُ ، ونَظَّمَ الشَّعْرَ ورواهُ ، حتَّى أتمَّ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فأرْبَتَهُ عِتَاقُ الْخَيْلِ فَتَفَرَّسَ ، وَحَمَلَ السَّلَاحَ فَتَشَرَّسَ ، ومَشَى بَيْنَ بُيُوتِ الْحَيِّ ، وَأَصْنَى إِلَى صَوْتِ الصَّارِخِ ، وَأَنَا خَائِفَةٌ عَلَيْهِ وَجَلَّةٌ مُشْفِقَةٌ مِنَ الْإِلْسِنَةِ أَنْ تَشِينَهُ ، وَمِنَ الْأَحْظَافِ أَنْ تَمِينَهُ ، حتَّى شاءَ اللهُ أَنْ تُصَيِّبَنَا سِنُونَ أَجْدَبَتْ بِلَادَنَا ، وكادَ يَهْلِكُ كِبَارُنَا وَأَطْفَالُنَا ، فَخَرَجْنَا إِلَى مَنَاهِلٍ غَيْرِ مَنَاهِلِنَا ، وَنَزَلْنَا فِي غَيْرِ مَنَازِلِنَا ، فَخَرَجَ أَصْحَابُنَا لَطَبًا هَارِمْ ، وَخَلَّفَهُ عَنِ الرُّكُوبِ مَعَهُمْ وَجَّعَ أَصَابُهُ ، فَلَاحَ وَأَيْيَكِ مَا عَلَمْنَا حتَّى دَهَمْنَا الْخَيْلُ مِنَ الْمَدْوِّ ، وَلَمْ يَتَوَلَّنَا عَقْلٌ ، وَلَا هَدُونَا . فَمَا كَانَ إِلَّا هَنِيئَةً حتَّى حَزَوْا عَلَى الْأَمْوَالِ ، وَانْهَزَمَ الرِّجَالُ ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ يَسْأَلُنِي عَنِ الصَّوْتِ ، وَأَنَا أَكْتُمُهُ خَيْفَةً عَلَيْهِ . حتَّى عَلَتْ الْأَصْوَاتُ ، وَبَرَزَتِ الْخُبَاتُ . فلما سمعَ ذلك ثَارَ كَمَا يَثُورُ اللَّيْثُ النَّصَبُ ، وَأَسْرَجَ فَرَسَهُ ، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَيْهِ لِأَمَةٍ حَرِيَّةٍ ، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ ، وَاعْتَقَلَ رُمْحَهُ . ثُمَّ لَحِقَ الْمَدْوَّ ،

فطمن أدنى فارس منهم فأرداه قتيلاً ، فرجموا إليه ، فأودع ولدًا لطيفاً ، صبيّاً طريفاً ،
فمعلفوا عليه . . . وتلقاهم ضرباً بالسيف ، وطمناً بالرُمح ، حتى هلك أكثرهم
وفرّ الباقيون !

غَنِيَّةٌ : شَحَاذَةٌ :

لو كان بالصبر الجليل ملاذُهُ	ماسحٌ وابلٌ دمعهُ ورداذُهُ
ما زال جيشُ الحبِّ ينزو قلبَهُ	حتى وهى وتقطعتْ أفلاذُهُ
لم يبقَ فيه من النرام بقيةٌ	إلا رسيسٌ محتويه جداذُهُ
من كان يرغبُ في السلامة فليكنْ	أبدًا من الحدقِ المراضِ عياذُهُ
لا تخدعَنَّك بالفتور فإنه	نظرٌ يضرُّ بقلبك استلذاذُهُ
يا أيُّها الرُّشأُ الذي من طرفه	سهمٌ إلى حبِّ القلوبِ نقاذُهُ
دُرٌّ يلوخُ بفيك : مَنْ نظامُهُ ؟	خمرٌ يجولُ عليه : مَنْ نباذُهُ
وقناةُ ذاك القدِّ : كيف تقومتْ ؟	وسنانُ ذاك اللحظِ : ما فولاذُهُ ؟
رفقاً بجسمك لا يذوبُ فإننى	أخشى بأنَّ يجفُو عليه لآذُهُ
هاروتٌ يمتجزُ من مواقعِ سحرِهِ	وهو الإمام ، فن ترى أستاذُهُ
تالله ما علقَتْ محاسنُك امرأً	إلا وعزَّ على الورى استنقاذُهُ
أغربتْ حبَّكَ بالقلوبِ فأذعنتْ	طوعاً وقد أودى بها استحواذُهُ
مالى أتيتُ الحظَّ من أبوابِهِ	جهدى ، فدام تقوره ولواذُهُ
إياك من طمع المنى ، فعزيزُهُ	كذلِّله ، وغنيُّه : شحاذُهُ

العيون

لأعذب العين :

قال الشاعر^(١) ابن الصنّدى يصف العيون :

هى التى توقع القلب فى التعب ، وتوفر نصيبه من أسهم الهمة والنصب ، وترميه بدواحي
الهوان ودواحي الهوى ، وتسلمه إلى مكيدة الترام ومكابدة الجوى ، لوعُذبتُ بطول السهر
وكثرة الدُموع وبفيض الشئون وعدم المجوع ، وبمسامرة الأحزان والفكر ، وبمراقبة
النجوم إلى السحر ، وبعدم الإغفاء وطول السهر - لكان استحقاقها وجودَ جود الدمع وإن
طامعا ، وعدمَ مثال المنام وإن نَمًا :

لأعذبَ العينَ غيرَ مُفكّرٍ فيما جرتْ بالدمعِ أو سالتَ دَمًا
ولأهجرنَ من الرقادِ لذيذهُ حتى يمودَ على الجفونِ محرّمًا
هى أو قمتنى فى جابلِ فتنةٍ لو لم تكنَ نظرتَ لكنتُ مُسلّمًا
سفكتُ دمي فلا سَفْحَنَ دموعها وهى التى بدأتْ وكانتْ أَظْلَمًا

ولعلَّ موجب هذه الواعظة ، والألناظ التى هى بالتحذير لافظة أنى خرجت فى بعض الأيام
متفرجًا وسارحًا ، وجائلاً بطرفى فى الرياض وسائحًا ، وصبغى سديق لى فى المحبة صادق ،
ورفيق لى فيما أرومُ موافق ، قد ملك كلَّ حسنٍ ولطافة ، وجمع كلَّ حذقٍ وظرافة ،
ينصبُّ لخدمتي لا لعل ولا يسأم ، ويتعب فى مرضاتي لا يكل ولا يندم ، ويجهد فى موافقتى
لا يمن ولا ينم ، ويحسنُ مرافقتى لا يذم ولا يذم ، قد اتخذته جُهينة أخبارى ، وكثرًا
لخرائن أسرارى ، لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل ، وهو عندى كما قيل :

برُوحى بَن لا أستطيعُ غِراقَهُ ومن هو أوفى مِن أخى وشقيقى
إذا غاب عني لم أزل متلفتًا أدورُ بعينى نحو كُلِّ طريقٍ

(١) فى لوعة الشاك ودمعة الباكي .

معاني لفظ العين :

للعامة أحمد السجاعي - المتوفى سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائعة في معاني لفظ العين ،
وهي في فنها غريبة - قد احتوت على معاني في لفظ (عين) . وقد جعل حروف اسمه في أوائل
أبياتها بالترتيب . وهذه هي القصيدة كما نقلت من خط الشيخ مصطفى البدرى في كراسة
« مجموعة لنوبة » :

وقد وضعتنا^(١) تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بعده :

أيا ظبي الفلا وكحيل عيني ويا بدّر الدجى وضياء عين
(الشمس)

حُميت من المسكار ياغزالاً حوى كل الكمال بدون عين
(العيب)

ملكته القلب منى يا حبيبي وحق المصطفى المجري لَمَين
(الماء)

دعانا للهداية نيم طه رسول قد أبان لطرق عين
(حقيقة القبلة)

أمين سيّد ما فيه شك به مهدي الأنام بكل عين
(الناحية)

له ذات خلت من كل سوء وقلب قد خلا من شين عين
(الرّياء)

سما فوق السماء ونال قرباً وخطب ربّه وخطى بَين
(النظر)

جميل النفس والأفعال قطعاً صقّ خالص من قُبْح عين
(الميل)

(١) وضع تفسير كل لفظ عين بين (قوسين) المفقور له العامة أحمد تيمور باشا وذلك بالمداد الأحمر .

أَذَاعَ الْخَيْرَ فِينَا كُلَّ وَقْتٍ وَعَوَدَ أُمَّةٌ مِنْ مَرَّةٍ عَيْنِ
 (إصابة العين)
 عَلَا رَتَبًا فَلَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ وَأُظْهِرَ دِينَهُ لَخِيَارِ عَيْنِ
 (الجماعة)
 يُعِيمُ شَرِيعَةً غَرَاءَ فِينَا .. كَمْ قَدْ هَدَى مِنْ كُلِّ عَيْنِ
 (الإنسان)
 رَوُوفٌ بِالْبَادِ رَحِيمٌ قَلْبِ عَظِيمُ الْقَدْرِ سَيِّدُ كُلِّ عَيْنِ
 (الكبير)
 كَرِيمٌ مُتَشَقِّقٌ ، بَحْرُ الْعَطَايَا فَكَمْ مِنْحَ الْأَنَامِ جَزِيلَ عَيْنِ
 (المال)
 عَظِيمٌ مُجْتَبَى قَدْ ظَلَمَتْهُ لَدَى حَرٍّ عَظَائِمُ كُلِّ عَيْنِ
 (السحاب)
 خَلِيلُ اللَّهِ أَحَدُ ذَوِ كَالٍ بِحِيرِ النَّاسِ مِنْ لَحْظٍ بَعَيْنِ
 (المطر)
 رَحِيمٌ بِالْبَادِ سَرِيعٌ بِأَسِ عَلَى قَوْمٍ لَثَامٍ مِثْلَ عَيْنِ
 (الطائر)
 كَبِيرُ الْقَدْرِ فِي الدَّارَيْنِ حَقًّا مُنِيتِ النَّاسِ مِنْ حَرٍّ لَعَيْنِ
 (شعاع الشمس)
 رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ لَنَا مَلَاذٌ لَنَا فِيكَ الرَّجَا يَنْسِلُ عَيْنِ
 (الخيبار)
 فَكَمْ صَرَفَتْ عَنَا مِنْ كُرُوبٍ بِدُنْيَا ثُمَّ أُخْرَى عَمْدَ عَيْنِ
 (الجد واليقين)
 وَخَلَقَكَ مَبْدَأُ الْأَشْيَاءِ حَقًّا حَبِيبِي أَنْتَ أَوَّلُ كُلِّ عَيْنِ
 (الشيء)

عليك الله صلى مع سلام أصولك مثل ذا من هم كعين
(الذهب)
وآل ثم أصحاب جيماً فهم بذلوا لدين كل عين
(الدنيا أو النفس)
وكم قضبوا بسيف الله رأساً من الأعداء . وكم قهروا لعين
(الشديد)
وكم أحيا بهم ربى علوماً منية . ومنها ذات عين
(الحضور)
كذا أتباعهم ما قال عبد : أيا ظي الفلا وكيل عين
(الباصرة)

وصف العين وأسماء أجزائها :

في أول كتاب « سحر العيون » : الباب الخامس في وصف العين وأسماء أجزائها
وعيوبها الخلقية وغيرها . قال المؤلف :

اعلم يا نور الأعيان ، وأعز من إنسان عيون الأجنان ، أن - (مقلة العين) في اللغة هي :
الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، سُميت بذلك من قولهم : مقلت الرجل في الماء :
إذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل في الماء : إذا غاص فيه ، وتماقل الرجلان في الماء : إذا تناوصا
فيه ليمسأ أشهما أصبر على التوصل ، فلما كانت - حبة العين غائصة في ماها سُميت : المُقْلَة ،
ويقال : ما مقلت عيني مثل فلان : أى : ما نظرت ، قال الشيخ مهاب الدين أحمد الحاجي :
لها عين لها غزل وغزلت . مَكْحَلَة . ولها عين تباكت
وحاكت في فعالها المواضي فيالك مقلة غزلت وحاكت
(الحدة) . هي السواد الأعظم (في العين) سُميت بذلك لأن البياض مُحَدِّقُهَا ،

ويقالُ : أَحَدَقَ الْقَوْمُ بِهِ وَحَدَقُوا بِهِ — لَتَنان — أَى : أَطَافُوا بِهِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ .

وقال الشريف الرضى :

ياقلبُ مالَكَ لا تَفِيقُ وَقَدْ رَأَتْ عَيْنَاكَ كَيْفَ مَصَارِعُ الْعُشَاقِ ؟
فَتَكَتْ بِكَ الْحَدَقُ الرَّاخُ وَلَمْ تَزَلْ تُشْجِي الْقَاوِبَ جَنَائِدُ الْأَحْدَاقِ

و (الناظرُ) : السَّوَادُ الْأَصْفَرُ الَّذِي يُبْصِرُ فِيهِ الرَّائِي شَخْصَهُ ، وَالْمَرْبُ يَقُولُ : هُوَ مِثْلُهَا ، وَإِنْسَانُهَا ، وَدَوَابُّهَا ، وَنَاطِرُهَا ، وَبَصَرُهَا ، وَضِيئُهَا ، وَغَيْرُهَا وَلُغَبُهَا ، وَبُؤْبُؤُهَا ، وَتَمَثَّلُهَا ، وَسَوَادُهَا ، وَحُبُّهَا ، وَمَذَلِكُهَا .

قال ابن مطرٍ : وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا لِمَوْضِعِ الْبَصَرِ الَّذِي فِي حَاسَةِ الْبَصَرِ ، وَالْجَمْعُ : نَوَاطِرُ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَى الرَّائِي صُورَةَ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ لَصَفَائِهِ ، وَبِاسْتِدْلَالٍ عَلَى صِحَّةِ الْحَاسَةِ بِمَا تَحْتَمِلُ فِيهِ .

و (الناظران) — أَيْضاً : عِرْقَانِ فِي الْعَيْنِ يَسْقِيَانِ الْأَنْفَ ، يَقَالُ إِنَّهُ لِمُرْتَعُ النَّاطِرَيْنِ ، وَيَقَالُ لِلَّذِي اسْتَحْيَى مِنْ أَمْرٍ : خَفَضَ لَهُ نَاطِرِيهِ ، وَالنَّاطِرُ يَجْمَعُ عَلَى : نَوَاطِرُ . قَالَ شَارِحُ كِتَابِ الْفَصِيحِ : نَظَرْتُ لِعَيْنِي وَنَظَرْتُ : انْتَهَظْتُ وَتَنَظَّرْتُ .

و (نظرتُ) بِمَعْنَى : رَحِمْتُ وَتَفَكَّرْتُ . وَانْظَرْتُ الرَّجُلَ : أَخَرْتُهُ ، وَانْظَرْتُهُ : جَعَلْتُهُ يَنْتَظِرُنِي ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (انظرونا) أَى : أَمْهَلُونَا : قَالَ الشَّيْخُ بَرَهَانَ الدِّينِ الْقِبْرَاطِيُّ :

يَا قَاتِلِي بِنَوَاطِرِهِ أَجْفَأُهَا بِسَيُوفِهَا الْأَمْثَالُ فِينَا تُضْرَبُ
قُلُوبُ لِلزَّلَالِ أَوْ النَّزَالَةِ إِذْ رَنَتْ أَوْ لَاحَ يَهْرَبُ ذَا ، وَتِلْكَ تَغْيِبُ

و (الحماليقُ) : هِيَ بَوَاطِنُ الْأَجْبَانِ ، وَاحِدُهَا حَمَلَقٌ . قَالَ ابْنُ مَطَرٍ : هِيَ الَّتِي تَرَاهَا إِذْ قَلِبْتَ لِلْكَعْجَلِ مَحْدَرَةً . وَقَالَ الرَّيْدِيُّ : الْحَمَالِقُ : نَوَاحِي الْعَيْنِ ، وَيَقَالُ لِمُؤَخَّرَى الْعَيْنَيْنِ مَمَالِي الصَّدْعَيْنِ : الْحَقِيمَانِ ، الْوَاحِدُ حَقِيمٌ . وَالْأَشْفَاكُ هِيَ حُرُوفُ الْأَجْبَانِ الَّتِي يَنْبَغُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ ، وَالْوَاحِدُ شَفْرٌ ، وَمِنْهُ شَفِيرُ الْوَادِي ، وَشَفِيرُ كُلِّ شَيْءٍ حَرْفُهُ .

قال الشيخ جمال الدين بن تَبَاكَةَ :

إِذَا كَانَ شَفْرُ الْعَيْنِ فَوْقَ مَحَلِّهَا فَمَعْنَاهُ أَنَا الْأَشْفَاكُ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْنِ

و (الأهداب) : الشعرُ النَّابت عليها ، واحدها : هُذْبٌ - بضمّ الهاء وسكون الدال المهملة ، قال الشيخ برهان الدين :

أهدابٌ لَحِظْكَ للورَى شركَ فَنَ أَوْفَقْتَهُ فَيَهِنٌ لَا يَتَفَلَّتُ
كَيْفَ النِّجَاءُ وَرُمَحٌ قَدْكَ مُشْرِعٌ؟ كَيْفَ الْخِلَاصُ وَسَيْفٌ لَحِظْكَ مُصَلَّتٌ؟

و (الحصير) : مدار بالعين ، وهو ما يبدو من البرقع والنقاب ، وجمعها محاجر ، ويقال : مَحْصِرٌ - بفتح الميم وكسرهما ، وفتح الجيم وكسرهما أيضاً ، وإنما سُمِّيَ المحصر محجراً لأنه مفعول من الحجير وهو المنع ، فسكانه مانعٌ عن العين من جميع جهاتها ، ومنه الحجرة المحيطة بالجدر ، والجمع : الحَصِرَات .

قال الأمير سيف الدين المشد وأجاد :

إِنَّ الْعِيُونَ لَكَ الْحَصُونَ فَهَدَّيْهَا شُرُفُهَا ، وَجُفُونُهَا الْأَسْوَارُ
وَكَذَانِ حَاجِرُهَا : الْخِذَاقُ حَوْلَهَا وَالْحَافِظُونَ بِهَا هُمُ الْأَنْوَارُ

و (المائق) و (الموق) : هو طرف العين مما يلي الأنف ، وهو غرَجُ الدمع من العين ، ولكلّ عين موقان ، وفي الموق وفي جمه لفات كثيرة يقال : مَاقٍ - بالهمز ، وجمعه آماق ، وموق - غير مهموز ، وجمعه أمواق وأماق وماق . والمقية - لَمَّةٌ في الماق أيضاً ، والجمع مُقَى . والماق : مقدمها . وقيل : الموق مؤخر العين ، وماقٍ يُجمع على مَوَاقٍ مثل قاضٍ وقَوَاضٍ . وفي الحديث : « كَانَ يَكْتَحِلُ مِنْ قَبْلِ مَوْقِهِ مَرَّةً وَمِنْ قَبْلِ مَاقِهِ أُخْرَى » .

قال التلبيّ يمدحُ كافور الأخشيدي :

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارِكُ غَيْرِهِ وَمِنْ وَرَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِقَا
فَإَمَاتٌ بِهِ إِنْسَانٌ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَ (أَمَاقِيَا)

و (الألحاظ) : جمعُ لحظٍ ، وهو مؤخرُ العين الذي يلي الصدغ وجمعتها لحاظٌ ، ولواحظُ . فأما اللاحظة فهي النظرة وجمعها : لحظات في القليل ، واللاحظ في الكثير ، ويجوز أن يجعل موضع اللاحظة . يقال : لحظ العين - مثل رأى العين ويقال : لحظ السماء بطرفه يلحظ لحظاً فهو لاحظ .

قال شيخ الشيوخ الأنصارى بمحمة :
يا نظرةً قَدْ جَلَّتْ لِي حُسْنَ طَلَمَتِهِ حَتَّى اهْتَضْتُ وَأَدَامَتُنَا عَلَى وَجَلٍ
عَاتِبْتُ إِنْسَانَ عَيْنِي فِي تَسْرِئِهِ فَقَالَ لِي : خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ
(والطرف) : هو مآلٌ بأحد السَّوَادَيْنِ : السَّوَادِ الْأَعْظَمَ ، وَالسَّوَادِ الْأَصْغَرَ . قال ابنُ مطرف :
« طَرَفُ الْعَيْنِ تَحْرُكُ أَشْفَارُهَا » ويقال : طَرَفَةُ عَيْنٍ ، وَالْعَيْنُ الْمَطْرُوفَةُ مِنْهُ مَأْخُوذٌ ، وَهُوَ
أَنْ يُصِيبَ سَوَادُهَا شَيْءٌ فَيَتَأَذَّى صَاحِبُهَا بِهِ ، وَرَبْمَا أُبْطِلُهَا . وَهِيَ « الطَّرَفَةُ » قال الشيخ
علاء الدين الوداعى :

كَمْ دِمَاءٌ مَطْلُوعَةٌ فِي هَوَاهُ وَبِهَا وَرَدٌ خَدِّهِ مَطْلُوعُ
وَحَدِيثٍ مِنَ السَّقَامِ صَحِيحٌ قَدْ رَوَاهُ عَنْ طَرَفِهِ مَكْحُولُ
و (الْقَبْلُ) هُوَ مِيلُ الْحَدَقَةِ فِي النَّظَرِ إِلَى الْأَنْفِ . وَأَنشَدَ الثَّمَالِي وَقَدْ اسْتَحْسَنَهُ
فِي « فقه اللثة » له - قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ :

أَشْتَهَى فِي الطَّلَاةِ الْقَبْلَا لَا كَثِيرًا يَشْبُهُ الْحَوَلَا

وقال جرير :

وَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تَمِجُّ دِمَاءُهَا بِدَجَلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجَلَةٍ (أَشْكَلُ)

وقول علاء الدين البديوى :

أَنَا جَدُّ أَنْصَارِ النَّبِيِّ لِأَنَّنِي يَا أَزْرَقَ التَّيْنِينَ عَبْدُ (الْأُمَهْلِ)
وَأَنشَدَنِي الْمَوْلَى أَبُو الْفَتْحِ عِدَّ الرَّسَامِ الْأَزْهَرِي :

رَنْتَ رَمْتٌ فَأَصَابَتْ قَلْبِي ، وَأَذَكْتُ لَهْيِي
فَهُوَ الْمَصَابُ بَعَيْنِ (مَهْلَاءُ) وَهِيَ الْمَصِيبَةُ

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وَأَعْيَدِ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ يَعْجِبُنِي كَأَنَّمَا هُوَ مَخْلُوقٌ عَلَى شَرْطِي
أَجْفَانُهُ السَّوَدُ مَا تَخْطِي إِذَا رَشَقَتْ سَهَامَهَا ، وَسَهَامُ اللَّيْلِ مَا تُخْطِي

وقال علاء الدين الوداعي :

رمتني سودٌ عينيهِ فاصمتني ، ولم تُبْطِ
وما في ذاك من يدعٍ سِهَامُ الليل ما تُحْطِ

وقال مهذب الدين الزعفراني :

ملكك على العشاق ، سكرانُ طرفهِ
شكوتُ إليه أسرَ قلبي في الهوى
فلا عجبٌ للحظِ منه يُعْرِدُ
فوقع لي : سحرُ الجفون يُخلدُ

وقال بشار بن برد :

يا من برايق ريقه يحيي الورى
من سحر عينيكَ المهابة تعلمتُ
وبسحر عينيهِ النواصِ يُقبلُ
وكذلك الزلانُ منها تغزلُ

وقال ابن عباد :

ونظرن من خللِ السُّتورِ بأعينِ
وله أيضاً :

وسنانُ قد خدعَ النّماسُ جُفُونَهُ
مذ غصَّ طرفاً بالحياءِ فإننى
فحكي بمقلته ذُبُولَ الرّجسِ
منه استحييتُ بأنْ أقبلَ مؤنسِ

وقال النّزّى :

كأنما سوادُ عيني مُنبتى
لا تُنْكروا مقاتلى تَجَاهلاً
كعبر يا أنفُساً لوامة
مع علمكم بأنّها لوامة

وقال الشهاب بن القطان :

شافنى (ماسُ) فُولِ
وابتنى التعريضَ ، قلنا :
زهرُهُ حاكى عُيونَكَ
لنَ اللهُ قرونَكَ

آفة النظر وفائلته :

وكنفت إذا أرسلت طرفك زائراً
رأيت الذي لا كآه أنت قادر
ولأني العباس الصيبي :

قم فاستقي بين خلق الغاي والمود
كأساً إذا أبصرت في القوم عتسماً
نحن الشهود وخلق المود خاطبنا
وله أيضاً :

يقرّ الله عينك يا جفوني
ويا عيني لك البشرى فنأي
رغبت عن الهوى وهربت منه
وله أيضاً :

سقتني لتروى الراح روحاً وحققت
على زجس حيّ به فكأثها
وله أيضاً :

إذا ضاق صدرى وخفت المدا
فبالله نبليج ما ترتجى
وله أيضاً :

ينيب البدر يوماً ثم يبدو
إذا لم تطالع الإثنين عصراً
وله أيضاً :

ولقد مررت على الظباء وصادني
فقدت لوحظه إلى بأسهم
ظني وعهدى بالظباء تصاد
أغراضها الأرواح والأجساد

وله أيضا :

حبّ المداد وما تَعَمَّدَ صَبَّه
فتورّد الخد البديع الأزهرُ
يا من يؤثر حبره في ثوبنا
تأثير لحظك في فؤادي أكثر

وله أيضا :

من شاء عيشاً رخيّاً يستفيد به
فليُنظرن إلى ما فوقه أدباً
في دينه ثمّ في دنياه إقبالا
وليُنظرن إلى من دونه مآلاً

وله أيضا :

أدرك بقية نفس روحها رمق
وإنما سلمت منها بقيتها
وقد أذابت هموم النفس أكثرها
لأنها خفيت ضمناً فلم ترها

وله أيضا :

ألا حل لي بحجب عاجب
رأيت الهلال على وجه من
تقاصر وصفي عن كنهه
رأيت الهلال على وجهه
وقال آخر في شوق إلى حبيب :

إن غبت عن ناظري فأنتم
والظنّ أن لا تخون عهدي
في القلب يا غاية التمتي
لا خيب الله فيك ظنّي

تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبوسفيان^(١) :

كان مسافر بن عمرو بن أمية ، يهوى هندًا بنت عُتْبَةَ بن ربيعة ، وله فيها شعر ينشئ به . فلما فارقت زوجها الفاكه بن النخيرة ، خطبها إلى أبيها ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد على « النعمان » يستعينه على أمره ، ثم عاد فكان أول من لقيه أبوسفيان ، وعلم منه أنه تزوج هندًا .

وكان مسافر من أحسن فتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاءً ، وقد عشق هندًا وعشيقته ، فاشتهم بها . وقال بعض الرواة : إنها حملت منه ، فلما بان حملها أو كاد ، قالت له : اخرج . فخرج حتى أتى الحيرة ، وأقام عند عمرو بن هند ينادمه ، ثم أقبل أبوسفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر ، فسأله عن قريش ، فكان مما قال له أنه تزوج من هند بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه ، حتى استسقى بطنه .

وروى معروف بن خربوذ أن مسافرًا قال في ذلك :

ألا إن هندًا أصبحت منك حرمًا وأصبحت من أدنى حموتها رحي
وأصبحت كالقصور جفن سلاحه يقلبُ بالكفّين قوساً وأسهماً

حكمة التعدّد في الإسلام^(٢) :

إنه لما علم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن . قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » وإذا تدبنا القرآن العظيم لم نجد يذكّر المؤمنين إلّا ومعهم المؤمنات ،

(٢) في كتاب علم الدين ج ١ لصاحبه على مبارك باشا .

(١) الأغاني ج ٨ .

ولا المسلمين إِلَّا ومعهم السلماء ، ولا الصَّامِنِينَ إِلَّا ومعهم الصَّامِتَات . قال تعالى : « وَمَنْ يَمَلَّ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » وقال تعالى : « مَنْ عَمَلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وقال تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِنِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْرَبًا وَاجْرًا عَظِيمًا » هو الجنة وما فيها . وهكذا في غير ما آية .

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف ، فسيفق بنفسه على ما ذكر . فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب ، وعليهن ما عليهم من العقاب ، لافرق بين حرٍّ ووقيق ، ومولى وعتيق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا خَفِظَتْ غَيْبَتَهُ فِي نَفْسِهَا ، وَطَرَحَتْ زِينَتَهَا ، وَقَيَّدَتْ رَجُلَهَا ، وَأَقَامَتِ الصَّلَاةَ ؛ فَإِنَّهَا تُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذْرَاءَ طِفْلةٍ ، فَإِنْ كَانَ زَوْجُهَا مُؤْمِنًا فَهُوَ زَوْجُهَا فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ زَوْجُهَا مُؤْمِنًا زَوَّجَهَا اللَّهُ مِنْ الشَّهَدَاءِ » . فكيف يتوهم من اتصف بالعدل فضلا عن اتصافه بالفضل ، أن يضيق عمل عامل ، أو يحرم الرأجي فضله الشامل ؟ .

وهنا تعرض مستشرق إنكازي في سياق حديث رواه المؤلف وقال : لو علمت نساء أوروبا ببولك لأحببن دين الإسلام ، لكن ربما يمنعن شئ آخر أشق عليهن من كل شئ ، وأضر . . هو اتخاذ الرجل منكم عددًا من الزوجات .

وردد على المستشرق بأنه لا دخل لتعدد الزوجية ولا لدين النصرانية في إحياء العلوم الأدبية ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيوية ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوربيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه ، فالعرب للأوربيين في كل ما علوه ملاذ ، واحتياجهم إليهم كاحتياج التعلّم إلى الأستاذ .

وأما ما كان من أمر تمدد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين؛ بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التمدد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ، نقلاً عن دانيال القسيس، أن ماوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متديّنين بدين النصرانيّة. ومن ثمّ كان لكلّ من غنطران وشريير وداغوير الأول ثلاث زوجات، ولمّ داغوير، وهو فلاديمير أربع زوجات في آنٍ واحدٍ .

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد، كتب البابا غرينور الثالث إلى الواعظ بدستقاس، حين أرسل إليه يسأله عن جواز التزوّج بامرأة ثانية: « إذا أصيبت المرأة الأولى بداءٍ بمنعها عن القيام بحقوق الزّوج، جاز له أن يتزوّج بامرأة أخرى، وعليه للمصابة مؤنّها الضرورةُ » .

ولعلّ الحكمة في إباحة تمدد الزوجات عند المسلمين، وعند كلّ من كان على رأيهم، أن التدبير الإلهيّ لمّا ميز الرّجل بقوة البنية، وطول زمن التّناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعذار المتعادية للنساء في أوقاتٍ معيّنة، كالحيض والنفاس، راعى الشرع جانبه لذلك .

وأما حكمة الأفراد التي عول عليها النّصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم بآطرادها في كلّ طبيعة، ولا بأنّها تقطع ما يخشونه من الفاسد. فقد أتى زمن يمنع فيه كثير من الأمور الفظيمة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنة ونحو ذلك .

فقال المستشرق الإنكليزيّ: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرّة، فرأيت في السورة الثالثة مآطاره الأمر بضرب النساء، مع أنه يُخلّ بشرف الإنسانيّة .

فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلّا إذا علم الزّوجُ منها خلاف ما كان يمهّد، على أنّه ليس له ذلك من أوّل الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدّبها بالهجر، فإن لم يُجِدْ الهجرُ ضربها، بشرط ألا يضرّ بها، وآلا يخرج على حُسنِ العشرة المأمور به

في القرآن ، الذي جعل التشديد عليهن مذموماً ، وصير من عاقبن على كل ما فرط منهن ماموماً ، كقوله تعالى : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِيسَافُكَ بِمَعْرِفٍ أَوْ تَسْرِيعُ بِإِحْسَانٍ » .

وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « احموا النساء على أخلاقهن » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالقبي ، فإذا طُلبَ ما عنده وَجِدَ رَجُلًا » .

وقال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم : « ما حقُّ زوجة أحدنا عليه ؟ » قال : أن تُطْعَمَها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقَبَّحَ ، ولا تهجر ، إلّا في البيت » . ومعنى لا تُقَبَّحَ : لا تسمعها الكروه ولا تشتمها أو لا تقل لها : قبحك الله ونحو ذلك .

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثيرٌ مما يعظم أمر النساء ويوجب رعايتهن والمبادرة إلى القيام بحقوقهن . وهل حرية النساء إلّا أن يعلنن حقوقهن على أزواجهن ، حسب مقتضيه المروءة ، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهن من خصائص الرجال .
وليس فيما يقبل العقلُ النزّه عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليهن وما اشتبهن ، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهن وأهوائهن على عقولهن .

المرأة التي تزوج عليها زوجها :

في « سبعة المرجان »^(١) « أشعار عن غيرة للمرأة التي يتزوج عليها زوجها ، منها قول ابن المعتز :

خبروها بأنني قد تزوّج
ثم قالت لأختها - ، ولأخرى
جزعاً : ليته تزوّجَ عشرًا
وأشارت إلى نساء لديها
لا ترى دونهنّ للسرّ سترًا .
مالقبي كأنه ليس مني وعظاي أخال فيهنّ قترًا

(١) سبعة المرجان ص ٢٥٧ أشعار .

عدم زواج الرجل بمن يهواها :

معلوم أن العرب^(١) كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها ، وكان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها .

قال أبو ريش : كان الرجل إذا عُرفَ بِمحبِّ امرأةٍ لم يزوّجوه إياها . وكان إذا سلّم عليها عُرف أنه يهواها ، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام بأس منها وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه .

رؤية الرجل المرأة عند تزوّجها^(٢) :

قال الأعمى : الحُسْنُ في العَيْنين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم .

وقالت امرأة خالد بن صفوان له : إِنَّكَ لجميل يا أبا صَفْوَانَ . فقال : كيف وليس عندي رداء الجلال ، ولا برئسه ولا عموده . إِنَّ رداءه البياض وأنا آدم ، وعموده الطول وأنا رُبْعَةٌ ، وبرئسه سواد الشعر وأنا أشتط . ولكن قولى : إِنَّكَ مليح ظريف .

وروى أن النبيّ — عليه الصلاة والسلام — خطب امرأة ، فأرسل عائشة — رضى الله عنها — لتنظر إليها ، فلما رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلاً . فقال : بلى ، لقد رأيت خالاً في خدّها اقشّرت منه كلّ شعرة في جسده .

وقالت عائشة — رضى الله عنها — تصف شعورها حينما رأت جويرية بنت الضحّاك لأول مرة : والله ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجرى ، فكبرتها . وفى ذلك ما يدلّ على ما كان عليه أزواج النبيّ — صلى الله عليه وسلم — من النيرة عليه ، والعلم بموقع الجلال عنده . أما نظره — عليه الصلاة والسلام — إلى جويرية حتى عرف من حسنّها ما عرف ، فذلك لأنّها كانت مملوكة ، لو كانت حرّة ما ملأ عينيه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء . وجاز أن يكون نظره إليها لأنّه نوى تزوّجها .

وروي أن امرأة قالت للنبي صلوات الله عليه : إني قد وهبت نفسي لك يا رسول الله .
فصعد فيها النظر ثم صوب ثم أنكبها من غيره .
وثبت عنه - عليه الصلاة والسلام - الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها .
وقال للمنيرة حين شاوره في نكاح امرأة : « لو نظرت إليها فإن ذلك أحرى أن يؤدمَ بينكما » . وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح بئينة بنت الضحاك .
وقد أجازته مالك في إحدى الروايتين عنه . ذكرها ابن أبي زيد .
وفي مسند الزّار : « لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوجها وهي لا تشعر » .

وفي تراجم البخاري في باب النظر إلى المرأة قبل التزويج أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال لعائشة - رضي الله عنها : أريتك في المنام يجيء بك الملك في سرقة من حريم ، فكشف عن وجهك ، فقال لي : هذه امرأتك . فقلت : إن يكن من عند الله مُخْمِضُهُ ، وهذا استدلال حسن . وفي قوله : إن يكن من عند الله سؤال - لأن رؤياه وحى ، فكيف يشك في أنها من عند الله . والجواب : أنه لم يشك في صحة الرؤيا ، ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها ، وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميّه فمن هاهنا تطرق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لها تأويل .

وسمعت شيخنا يقول في معنى هذا الحديث : لا يمتنع نظره عليه الصلاة والسلام إليها من أحد الأمرين ، أو يكون ذلك قبل أن يضرب الحجاب . وإلا فقد قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » .

والنبي - صلى الله عليه وسلم - هو بنير شكّ إمام المتقين وقدوة الورعين . وجورية هي بنت الضحاك بن أبي ضرار بن حبيب بن عائد . وتوفيت في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين أو خمس وخمسين من الهجرة .

رايات من خمر النساء^(١):

وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ... عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانَ وَالْيَا عَلَى الْبَصْرَةِ ، وقال له : يا عتبة ، إني قد استعملتك على أرض الهند ، وهى حومةٌ من حوماتِ العدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، ويعينك عليها . فإذا قدم عليك العدو ، فاستشره ، وادع إلى الله ، فن أجابك فأقبل منه ، ومن أبى فالجزية ، وإلا فالسيف ، واثق الله فيما وليت ، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبير مما يُفسد عليك إمرتك ، وقد صحبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فمزنت به بعد الذلة ، وقويت به بعد الضعف ، حتى صرت أميراً مسلطاً ، ومليكاً مطاعاً ، تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرك ، فيألفها من نعمة ؛ فاحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، ولهي أخوفهما عندى عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطةً تصير بها إلى جهنم ، أعيدك بالله ونفسى من ذلك . إن الناس أسرعوا إلى الله حتى رفعت لهم الدنيا فأرادوها ، فأريد الله ولا تريد الدنيا . واثق مصارع الظالمين . انطلق أنت ومن معك حتى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم ، فأقيموا . فسار عُتْبَةُ ومن معه ، وأقام بالبصرة ، ثم سار عتبة بالمسلمين إلى أن لقيهم جيش عظيم من الفرس ، فاقتتل الفريقان .

وقال نساء المسلمين : لو لحقنا بهم فكنا معهم ، فاتخذن من حُرَيْنَ رايات ، وسرن إلى المسلمين ؛ فلما رأى المشركون الرايات ، ظنوا أن مدداً للمسلمين قد أقبل ، فانهزموا ، وظفر بهم المسلمون !

(١) فى « الكامل » لابن الأثير .

كشف وجه المرأة في الإحرام :

قالت عائشة - رضي الله عنها^(١) : لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء ، لمنعن من المساجد .

وسئل عقيل - عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ، مع كثرة الفساد في زمانه أهو أولى أم التغطية مع الفداء ؟ فأجاب : بأن الكشف شعار إحرامها ، ولا يجوز رفع حكم ثبت شرعاً لحوادث البدع .

وأما قول عائشة - رضي الله عنها - فإنها ردت الأمر إلى صاحبه فقالت : لو علم لمنع ، ولم تمنع هي .

وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح ، وأجاز للشهود النظر . فليس يبدع أن يأمرها بالكشف ، ويأمر الرجال بالنقض ليكون أعظم للابتلاء .

وإنما جاء النص بالنهي عن النقاب خاصة ، كما جاء النهي عن القفازين ، وعن لبس التميمص والسر اويل . ومعاوم أن تنهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة ، بل قد أجمع الناس على أن - المحرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها ، وأن الرجل يستتر بدنه بالرداء وأسافله بالإزار .

ومن قال : إن وجه المحرمة كرامس المحرم ، فليس معه بذلك نص . وقول من قال من السلف : إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل ، بل يلزمها اجتناب النقاب ، فيكون وجهها كبदन الرجل .

وقد قالت عائشة - رضي الله عنها : كنا إذا مر بنا الركب ان سدت إحداً جليباً على وجهها . ولم تكن إحداً تتخذ عوداً تجمعله بين وجهها وبين الجليب كما قال بعض الفقهاء ، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة ، ولا أمهات المؤمنين البتة ، لا عملاً ولا فتوى . ويستحيل أن يكون هذا من شعار الإحرام ، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام .

(١) في بدائع الفوائد .

ومن أثر الإنصافَ وَسَلَكَ سَبِيلَ الْعِلْمِ وَالْعَدْلِ تَبَيَّنَ لَهُ رَاجِحُ الْمَذَاهِبِ مِنْ مَرْجُوحِهَا ،
وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها^(١) :

الببضة المكنونة^(٢) ببضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصفرة التي تضرب فيها .
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة ، والنعامه تخفيها بريش ، ولا تبديها للشمس والريح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّ هُنَّ يَبْيِضُ مَكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والداعبة : المازحة ، والمنازلة - تقول : غالزني المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بيمينها ، وغزتكَ بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صددت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستماحة . كاللدى والصور التي تلبس بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتروجت ! :

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عم لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذي تريدن بمدى والذي تضميرن يا أمَّ عُقْبَةَ
تحفظين من بَمد موتي لما قد كان مني من حسن خُلُقِي وصُحْبَةِ
أم تريدن ذا جمالٍ ومالٍ وأنا في التراب في سجن غُرْبَةٍ

(١) في خزنة الأدب للبغدادي . (٢) تكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعام غالباً .

فَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أُجِيبُكَ بِكَذِبٍ ، وَلَأَجْعَلَنَّ آخِرَ حَظِّيْ مِنْكَ . وَأَنْشَدَتْه :
 قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ يَا ابْنَ عَمِّيْ تَخَافُ مِنْ أُمِّ عَقْبَةَ
 سَوْفَ أَبْكِيكَ مَا حَيِّتُ بَنُوْحٍ وَمَرَاثٍ أَقُولُهَا أَوْ بِنْدَبَةَ
 فَلَمَّا سَمِعَهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا وَاللَّهِ وَاقِفٌ بِكَ لَكِنْ اخْتِيَاطًا أَخَافُ غَدْرَ النِّسَاءِ
 بَعْدَ مَوْتِ الْأَزْوَاجِ يَآخِيْرُ مِنْ عَو شَرِّ فَارَعِي حَقِّيْ لِحَسَنِ الْوَفَاءِ
 إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِي الْعَهْمَ دَفْكَوْنِي إِنْ مَتَّ عِنْدَ الرَّجَاءِ
 ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانَهُ فَلَمْ يَنْطِقْ حَتَّى مَاتَ . فَلَمْ تَمُكْثْ بَعْدَهُ قَلِيْلًا حَتَّى حُطِبَتْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
 رَغِبَ فِيهَا الْأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الْخِصَالِ الْفَاضِلَةِ فِيهَا ، فَقَالَتْ بِحِيَّةٍ لَّهُمْ :

سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ وَرِعَاهُ حَتَّى نَلْتَقِيَ يَوْمَ نُخْشَرُ
 وَإِنِّي لَفِي شَتْلِ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكُفُّوا فَمَا مِثْلِي بَيْنَ مَاتٍ يَنْدُرُ
 سَابِكِي عَلَيْهِ مَا حَيِّتُ بِدُمْعَةٍ تَجُولُ عَلَى الْخُدَّيْنِ تَهْمِي قَهْمُرُ
 فَلَمَّا تَطَاوَلَتِ الْأَيَّامُ تَنَامَسَتْ عَهْدُهُ وَقَالَتْ : مِنْ مَاتَ فَقَدْ فَاتَ .

فَأُجَابَتْ بِبَعْضِ خُطَابِهَا فَعَقَدَ عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ الدِّخْلُ بِهَا أَتَاهَا آتٌ
 مِنْهَا مِمَّا فَقَالَ :

عَقَدْتُ وَلَمْ تَرَعِي لِبُعْلِكَ حَرَمَةً وَلَمْ تَعْرِفِي حَقًّا وَلَمْ تَحْفَظِي الْعَهْدَا
 وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفَاظًا لِّصَاحِبِ حَلَفْتَ لَهُ بَقَاءً وَلَمْ تَنْجِزِي الْوَعْدَا
 غَدَرْتُ بِهِ لِمَا نَوَيْتُ فِي ضَرِيحِهِ كَذَلِكَ يُنْسَى كُلٌّ مِنْ سَكَنِ اللَّحْدَا

فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، انْتَبَهَتْ مَرْتَاعَةً كَأَنَّ غَسَّانَ مَعَهَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، وَأَنْكَرَ
 لِكَ مِنْ حَضَرِهَا مِنْ نِسَائِهَا ، فَأَنْشَدَتْهُنَّ الْأَبْيَاتَ ، فَأَخَذْنَ مَعَهَا فِي حَدِيثِ لَيْسِيْنَهَا مَا هِيَ فِيهِ ،
 فَغَلَبَتْهُنَّ وَأَخَذَتْ مَدِيَّةً ، فَلَمْ يَدْرِكْنَهَا حَتَّى ذُبِحَتْ نَفْسُهَا . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ :

لَوْ دُرْتُكَ مَاذَا لَقِيتِ مِنْ غَسَّانٍ
 قَتَلْتِ نَفْسَكَ خُرْنًا يَا خَيْرَةَ النِّسْوَانِ

وفيت من بعد ماقد همت بالعصيان
وذو المعالي غفور لسقطه الإنسان
إنّ الوفاء من الله لم يزل بمكان

وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى :

قالت امرأة حاكية^(١) : كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً ، فقيل لها : هذا الأمير قد جاء ، فتنجيت . ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها ، رأيته وكأنما أوتى ملك سليمان .

ويقال : إن رملة بنت عبد الله ضرة عائشة هذه قالت لمولاة عائشة يوماً : أرى مولاناك مجردة وأنا أعطيتك ألفي درهم . فذكرت الجارية ذلك لعائشة ، فقالت : أنا أخرجتها ولا تعلمها أنى عرفت . ثم قامت عائشة فتجردت كأنها تنفسل . وذهبت مولاتها إلى رملة ضرتها فأخبرتها ، فأمرت عليها وتأتملتها مقبلة ومدبرة ؛ وأعطت الجارية ألفي درهم وقالت : وددت لو أتي أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها ، وذلك لما راعها من حسن جسدها والبض ، وتناسق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة .

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندمته قائمة ، دلالة على أنها لا تزوج بعده . روى الأصفهاني في كتابه « الأغاني » أن عائكة بنت يزيد بن معاوية ، استأذنت زوجها عبد الملك في الحج ، فأذن لها وقال : ارفعى إلى حوائجك كلها ، واستظهرى فإن عائشة بنت طلحة تحب معك ، فاستظهرت بكل ما تقدر عليه ، وخرجت بهيئة حسنة قداجتهدت فيها . فلما كانت بين مكة والمدينة إذا ركبت قد جاء فضغظها وفرق جماعتها ، وكان هو ركبت عائشة بنت طلحة !

(١) روضة الأعيان للراجم ص ٤٣٨ .

القبلة وإباحتها^(١)

قالت طائفة من العلماء : القبلة مباحة لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه من التلف في الحين قالوا : لأن تركها قد يؤدي إلى هلاك النفس ، والقبلة صغيرة ، وهلاك النفس كبيرة ، وإذا وقع الإنسان في مرضين داوى الأخطر ، ولاخطر أعظم من خطر النفس ، حتى أوجبوا على المحبوب مطاوعته على ذلك . إذا علم أن ترك ذلك يؤدي إلى إهلاكه . واحتجوا بقول الله تعالى : « الذين يحتبون كباثر الإثم والفواحش إلا الهمم . . . » والحديث الذي يقول : بإرسول الله إني لقيت امرأة أجنبية فأصبت منها كل شيء إلا النكاح ، قال : أصليت معنا ؟ قال : نعم . قال : إن الله قد غفر لك . فأنزل الله تعالى : « وأقيم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات » . رجع إلى المقاطيع :

قال أبو الفرج الجوزي :

يا مانع القبلة من خدِّ فتَّ قلبي فهو مفتوتُ
لا تحش أنفاسي ولا حرَّها فإِنما خدك يا قوتُ
ولأبي الفضل بن أبي الوفا :

سألها رشف ريق مستعذب الطعم حاوى
قالت : فصفه أرتجلاً فقلت : بمد التروى

ولابن حجة :

وعاشق أزم معشوقه قبلة في فيه فيها شفاء
ولم يخف من جارحي لحظه خطفاً وقد باس ولم يخطفاه

ولابن العطار :

جمعت بالراح شملي فأنه يجمع شمك
وكم يد لك عندي دعني أقبل رجلك

(١) المنتخب الشعري رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٨٧ .

ولآخر :

رأيت في مجلسي مليحاً يشبه بدر السجى وأحسن
سألته قبلةً بخاتمة فجاد بالوصل لى وأحسن

وقال آخر :

سألته قبلةً الذبها فصدد عني وقال سروالك
فقلت : لم سيدي ؟ فجاوبني : عاقبة البوس حل سروالك

ولآخر في « مشروط على الخد » :

بروحى مشروط على الخد أسمر وفاودنا بعد التجنب والسخط
فقال على اللثم اشتربنا فلا تزد فقيلته، ألنا على ذلك الشرط

ولبعضهم رحمه الله :

قال الحبيب وقد رشفت رضابه في يوم من رمضان لما زارا
أفطرت ؟ قلت : نعم رأيتك طالماً وهلال وجهك يوجب الإفطارا

ولآخر عفا الله عنه :

قبت مبسمه فقال تذللّا عند اللقاء له ونحن صيام
أفطرت ياهذا ، فقلت له : ابتدا ء الصوم مع رؤيا الهلال حرام

وقال آخر في الجناس :

إن كنت تألف بالحبيب وقربه فاصبر على جور الرقيب وداره
إن الرقيب إذا صبرت لحكميه ثواك في مئوى الحبيب وداره

محاسنُ الخلقِ والخلقِ^(١)

عن وهب بن منبه - أنه قال : قال موسى عليه السلام : أى رب أى عبادك أحب إليك ؟ . قال : من أذكر برؤيته . وقال وهب : قال داود : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر قبيح الصورة ...

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحب الجمال . رواه عبد الله بن عمرو بن الماص وأبو سعيد الخدرى ، وعبد الله بن مسعود وجماعة .

وعن حديث ابن حديد عن أبي مليكة ، رفعه : من آناه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً وجعله في موضع غير شائنٍ له ، فهو من صفوة الله من خلقه .

وفي الصحيحين عن أبي بريدة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم . وكان يقول : إذا أبردتم إلى بديداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم .

وفي مליح :

يا من له وجهٌ بدت أنواره	كالشمس عند طلوعها بل أشرفُ
لولا هواك لما جفا جفنى الكرى	ليلاً ، وبثٌ بدمع عيني أشرفُ

وفي آخر :

شبهت بالبدر الحبيب فقال لى	لاح به أثر الصبابة لا يخُ
لا وجه للتشبيه ، قلت : أما ترى	وجه الحبيب ؟ فقال : وجه واضحُ

وقال له :

وجه يفوق الهلال حسناً	ويُنجلُ البدر إن تجلُ
يقول في الحال من رآه	أشهد أن لا مليح إلا

وقال آخر :

أُحِبُّ من المردان كلَّ مَهْمَهٍ
رَشِيقُ الثَّيِّ لَمْ يُسِرْ في خَدِّهِ الشَّعْرُ
فَأَمَّا إِذَا مَا الشَّعْرُ في خَدِّهِ بَدَأَ
فَلَا خَيْرَ في اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا السَّتْرُ

وقال آخر :

أُظْهِرُوا وَجْهَكَ اللَّيْلِجَ
ثُمَّ لَامُوا مِنْ افْتَنَ
لَوْ أَرَادُوا جَنَائِي
حَجَّبُوا وَجْهَكَ الْحَسَنَ

وقال آخر وأجاد :

يَا مَنْ وَهَبَتْ لَهُ رُوحِي فَعَذَّبَهَا
وَرَمَتْ تَخْلِيصَهَا مِنْهُ قَلَمُ أَطَقَ
أَدْرَكَ بَقِيَّةَ نَفْسِي فَيَكُ قَدْ بَلَنْتُ
قَبْلَ الْمَاتِ فَهَذَا آخِرُ الرَّمَقِ
وَلَا بِنِ الْخَطِيبِ فِي « الْحَسَنِ » :

الدُّرُّ فَوْقَ جَبِينِهِ يَتَوَقَّدُ
وَالْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ يَتَرَدَّدُ
كَتَبَ الْهَوَى بَيْدَ إِلَيْهِ يُؤَكِّدُ
بِالْحَسَنِ فَوْقَ جَبِينِهِ يَا وَاحِدَ
وَلَهُ أَيْضًا :

جَفَوْنَ مَعْدِي يَمْلَأُنِي
مَتَى وَإِنْ وَدَادَهُ تَكْلِيفُ
لَكِنِّي لَمْ أَتَأَنَّ عَنْهُ لِأَنَّهُ
خَبَرُ رَوَاهِ الْجَفْنِ وَهُوَ ضَعِيفُ
وَلِشَهَابِ الدِّينِ بْنِ نَاصِرِ الدِّينِ :

بِي سَقَامٍ مِنْ جَفَوْنَ
قَدِ جَفَوْنِي لَسْتُ أَرَا
وَعَيُونَ فَاتَكَاتِ
مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ أَرَا

ولآخر :

كَأَنَّ مَقْلَعَتَهُ صَادٌ ، وَحُلْجَبُهُ
نُونٌ وَمَوْضِعُ تَقْبِيلَاتِهِ مِيمٌ
فَصُرْتُ أَعْبَدَ مِنْهُ فِي الْهَوَى صِنْمًا
وَعَابِدَ الصَّمِّ الْإِنْسِي مَخْدُومٌ

ولآخر - في العيون :

يَا مَنْ يَشْبَهُ نَرْجَسًا بِنَوَاطِرِ
دَعَجَ تَلَبَّهَ إِنَّ فَهْمَكَ رَاقِدٌ
أَيْنَ الْقِيَاسِ أَيْنَ يَصْحَ قِيَاسُهُ
بَيْنَ الْعَيُونِ وَبَيْنَهُ ذَا سَاعِدِ

وقال أيضاً في ذلك :

وظيُّ إذا عاتبْتَ ناعسَ طرفه
أَلَّا فاصْهَدُوا قَتِيلَ بسيفِ جفونه
ولآخر - في العيون السود :

عيونك السود إن مدّت سِوالفها
وإن كان حبل الجفا سوّد معارفها
ولآخر - في ذلك :

كنت أشتغى بحبيبي ألف ناقة سود
أنزل إلى الحرب آخذ عود وأعطى عود
وفي من عينه زرقاء :

بمينه الزرقاء
واعجباً أحبّه

وفي أحول :

قالوا سُغت بأحول فأجبتهم
لأتحسبوا حولاته .. لكنّه

وفي من بعينه رمد :

جاء الحبيب وعيناه بها رمد
وقال أرجو علاجاً قلت واعجباً

وفي الوجنة الحمراء :

الطرف بعدك قد عادت مدامه
والقلب في الوجنة الحمراء يأسكني

وفي مبتسم الثغر :

جاء بصبح ثمره مبتسماً
قلت له : دمت لقلبي هكذا

يلدّ لطرفي في دجى الليل شهده
ولا تقتلوه إننى أنا عبده

تحكم علىّ وما أقدر أخالفها
في وسط قلبي بنا لناس معالفها

وألف أخرى يكن جمالها مسعود
أسلم من الحرب تقتلني العيون السود

في قلبي سهم مطلق
وهو العدو الأزرق

قد زدتمو والله في أوصافه
من زهره يرنو على أعطافه

والنار في مهجتي تصلى بها كبدي
أسلّ سيفاً لقتلي في الهوى بيدي

فهل تأذن لطيفٍ منك يطرّفه
كما بد النار يهواها وتحرّفه

يمشى بليل الشعر في دلال
ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب :

قال الحبيب يقول ثنرى إنه
يازيد خذ منه الحديث فإنه
ذو قرقف داء المحبة دافع
حسن رواه مالك عن نافع

وقال في أحور :

وأحور طرفى حابر فى جماله
وعرنيته أفى أئمم وطرفه
وقى لجلجة كلام الحبوب :

عابوا التلجلج - فى كلام معدنى
إن الذى ينسى الكلام لسانه
فأجبتهم والمذر فيه بيان
ولسانه من ريقه سكران
وفى ممانية حسن الحبيب :

لو عاينت عيناك حسن معدنى
عين الرشا ، قد القنا ، ردف النقا
ولابن مبارك :

يا أيها المشاق قد جاءكم
أجيد إتلاف روح امرئ

وقال آخر - فى من بيده مدية :

وشادن فى يده مدية
ما كان محتاجاً إلى حملها

ولأبى نواس - فى أحور ساحر العيين :

ويل على أحور ممكور
تختاره الحور علينا كما

وفى من يبكى :

يا قرأ أبصرت فى مائمه
لا تبك للميت ياسيدى
يندب شجوا بين أثواب
وابك قتيلاً لك بالباب

وفي من ينظر في المرأة :

وإذا أراد بأن ينزّه طرفه
فكانه وكأنها في كفّه
أخذ المرأة بكفه ففزعاً
شمس الضحى قد قارنت بدر الدجى

وفي قواس :

قالت لقواس له طلعة
يا من له وجه كبدر الدجى
من رام عنها الصبر لم يقدر
بكم تبيع القوس للمشتري ؟

ولأزميرى في رام :

بأبي وأمي رامياً يسي الحشا
لما أراد اطلاق سهم رامياً
بلا حظ تسطو على العشاق
زاد الورى عشقاً على الإطلاق

وفيه أيضاً :

رى عن قوسه في الطير سهماً
وفوق نحو قلبى سهم طرف
على عجل ولم يحل رويدا
فلم يخطئ بسهميه السويدا

وفي رمال :

وضارب بالرمل من حسنه
كان من أبداع في خلقه
يزدحم الناس على رمله
قد خلق العشاق من أجله
مستخرج في الرمل أشكاله
وما يريدون سوى سكله

ولابن الوردي في ذلك :

حكي القضيّب والقنا
وقال وصلى غفلة
بالرمل إلا بفيض
والأنامل داخل

وقال في منجّم :

ورب منجّم قد صدّ عني
فقلت عساك ترجع عن قريب
ولى أبداً بطلته ولوع
فقال الشمس ليس لها رجوع

ولابن الزّين في تاجر :

وتاجرٌ شاهدت عشاقه والحرب فيما بينهم تسائر
قال على ما اقتتلوا هكذا قلت على عينك يا تاجر
ولأزميري - في تاجر أيضاً :

وتاجرٌ يمتح عشاقه مالا ووصلا ليري نادره
ما ردّ يوماً منها زياراً لأنه متبّع الدايه
وله في شاعر :

لا تمذلوني إذا عشقت شاعراً في فيه نظم الدرّ يا رفاقي
فهو البديع حسنه لكنه يميل للترصيع في الطباقي
ولآخر في الخلد :

بدّا في الخلد عارضه فأضحى عليه مفيض بالوم يُغري
وحاول أن يرى متى سُؤوا فقال : لقد تعذّر . قلت : صبري
ولآخر ... اقتباس - في من في خده عذار :

رأيتُ في خده عذاراً خلعت في حبه عذارى
قد كتّبت الحسن فيه سطوراً ويوجّ الليل في النهار
ولابن المعتز في ذمه وهجره :

يارب إن لم يكن في وصله طمعٌ ولم يكن قدح من طول هجرته
فأشف السقام الذي في جفن مقلته واستر محاسن خديّه بلحيته
وله أيضاً - عفا الله عنه :

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفنٍ وقد تمعت معاني وجهك الحسن
وكان يعرض عني حين أبصره فصرت أعرض عنه حين يبصرني
وقال آخر :

لما التحى ومحا الإلهُ جماله وكساه ثوبَ مذلة ونفاق
كتب الزمان بخطه في خده هذا جزاء معذب المشاق

وقال آخر :

غداً أسوداً بالشعر أبيض وجهه
على وجهه أضحى بِخَطِي عذاره
فأصبح من بعد التَّعْمُ في ضَنْكِ
تناديهما عيناه حزناً : قفائْبِكِ
ولآخر ... اقتباس :

قتل النَّاسَ باللَّوْاحِظِ حَتَّى
طلعت ذقنه وعيناهُ كَلَّتْ
أذهب الله حسنه والجمالاً
وكفى الله المؤمنين القتالاً
ولآخر .. مثله :

لما بدا في خدّه عارضٌ
وقلت غدا عارض ممطرٌ
بشّرتُ قلبي بالسَّوِّ المقيمِ
نجّاءني منه عذابُ أليمِ
وقال آخر - أيضاً :

قلت لما تشركت عارضاه
إيش هذا فقال لي في جوابي
ولا بن نباتة :
كلّ من ماتَ سودّوا باب داره

وأمرّدُ مقته ربهُ
أرسله الله لنا آية
بدّله بمض الضياء بالظلم
ليعلموا كيف زوال النعم
وله أيضاً - رحمه الله :

دارت عذار حبيبي
فياله حسن وجهه
حتى غدا وهو حابر
دارت عليه الدوائر
وقال آخر :

وخلصني من يدى عشقه
كنست فؤادى من حسنه
ظلام على خدّه حنّسه
ولحيته كانت المكّنسه
وقال آخر . والله درّ قائله :

ما فعل الله باليهودى
ولا بفرعون من عصاه
ولا بمعاد ولا ثمود
ما فعل الشعر بالحدود

ما قيل في الأسماء^(١) :

في محمد بن عربي :

أحمد عساك تشهد لي أني قاتل عيونك النجل
فقت الملاح فأنت خاتمها وكذا سميتك خاتم الرسل
وفيه أيضاً :

قالوا تشفع بالجمال ولو تثبت كان أجود
فأجبت إني مسلم أرجو الشفاعة من محمد
ولابن العنيفة :

أيها المودع قلبي نار وجد تنوقد
كيف تستأهل نارا مهجة تهوى محمد
وفي أحمد :

قد غدا أحمد لي ما أجود وكان بالوصل لنا ينجد
وإن يمد يرضى لمشافه فالوصل يا أحمد لي أحمد
وفيه أيضاً :

مذ وفا أحمد وعدى ولهب الشوق أحمد
فأنا في كل حال أشكر الله وأحمد
آخر والله درقائله :

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة وأطفي بها ناري التي لا تتمد
قالوا فمن شئت تحب ؟ فأجبتهم غصن النقا بدر الدجى يا أحمد
وفي أبي بكر :

تعمقت ظلياً فاتن اللحظ فارتا أبو بكر يدعى خليفة طامة البدر
فلا تنكروا وجدى فإني محمد وإني من أولى الوري بأبي بكر

(١) الجزء مجموع في الشعر مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمورس ١١١ .

وفيه أيضاً :

بروحى أبا بكر فديت ومهجتي مليحاً بيدر التّم في أفته يذرى
له طلمة كالبدز والنصن قدّه وناظر من بابل جاء بالسحر
والهجّازى - فيه أيضاً :

بمدح أبي بكر سموتُ فيا له مليح أرانا وجهه صورة البدر
ولا يدع إذ بالنت في مدحه إذا فأحمد من أولى الورى بأبي بكر
ولشهاب الدين التليح ، وأنشده لنفسه :

منّ حبيبي ووافا وعدّا له وحقّه
ولا عجيبياً من أبي بكر الوفا ما أصدقه

وفى عمر :

ما عليهم في الهوى إذ نظروا حين سمّوك وقالوا : عمر
أبدلوا قافك عيناً غلطاً أخطأوا ما أنت إلا قر

وفى عثمان :

وافى إلىّ بشممتين ووجهه بضيائمه يزهو على القمرين
ناديت ما الاسم ؟ يا كلّ المني فأجابني عثمان ذو النورين

لنر في عثمان :

يا أيها العارف في فنّه ومدّعي الفهم وعلم البيان
ما قولكم في أحرف خمسة إذا مضى حرف تبق ثمان

وفى عليّ :

قال المذول مذ رأى قلبي به في شغل
بمن فتنت في الورى ؟ ققلت دعني بمل

وله عفا الله عنه :

بملى قد همت ما بين الورى وبه قلبي المعنى قد بلى
وإذا ما غاب عنى شخصه صاح قلبي وحشة يالملى

ولابن حجر الحافظ رحمه الله :

قلت : هل لى من دوا
قالوا ساوى كل حب
قد غدا قلبى عليلاً
قلت إلا عن على لا

وللحججazy فى عبد العزيز :

إن عبد العزيز قد جاء نحوى
فى هواه حقاً لقد طاب ذلى
شرح حالى أغنى عن التميز
حيث أصبحت عبد عبد العزيز
وللا زهرى فى عبد القادر :

حبى عبد القادر الذى له
وكيف لا أريده بين الورى
بهجة حسن والورى عبيده
والله يدرى أننى أريده
لغز فى عبد الله :

اسم من أهواه ياسيدى
وأخو الورد تمام اسمه
فيه من العنبر حرفان
وواحد ليس له ثنان
وفى عبد القوى :

عبد القوى سباني
وصرت عبداً ضعيفاً
بقده السمرى
فى حب عبد القوى
وفى عبد اللطيف :

فقلت بعبد اللطيف الذى
ولا عجب إن بدا لطفه
فطائته أسكنته الفؤاد
فبعبد اللطيف لطيف العباد
وفى عبد الحفيظ :

عبد الحفيظ الندى
لا تختشى من ضياع
قد أصبح الله قصده
فأله يحفظ عبده
وفى محمود :

يقول لى متكر حالى به
فقلت لا تسل بحق الهوى
من لك فى ذا الحى مقصود
عنه فقصدى فيه محمود

وفيه يهجو :

ما كنت أحسب أنى أجي إلى زمن يسبنى فيه كلب وهو محمود

وفى إبراهيم :

عجبت لنار قلبي كيف تبقى حرارتها وحبك تحتويه

فيا نيرانه كوني سلاماً ورداً إن إبراهيم فيه

وفيه أيضاً :

لا زال بابك للمسكارم كمةً فُرى بها للواردين رسوم

حتى يقول القاصدون بأمرهم هذا المقام وأنت إبراهيم

ولابن نباتة فى خليل :

ينيب خليل الحسن عنى ليلة فأسأم من ليل طويل أراقبه

وكيف يطيب العيش عندى والكرى وليس إلى جنبى خليلاً ألاعبه

ولمزددين الموصلى :

قال حبي خليل غيـرت ودى وتركت الفؤاد مـنى عليلاً

بعد عشق الملاح صرت تقياً ما تراعى من الأنام خليلاً

وقال فى يعقوب :

يعقوب إننى يوسف قد تركتنى من الحزن يعقوباً وأصبحت يوسفأ

وأصبحت غـذولاً وقد كنت ناصراً وكنت ملكاً صرت عبداً مكلفاً

ولابن الخياط - فيه أيضاً :

رأيت أنى فى الكرى لائماً مبسمك الشافى ألامى

يوسف انبينا بتأويله فقال هى أضـمات أحلامى

لنز فيه . . وأجاد :

يا سائل عن اسم من أحبته إننى بمن أهواه غير مصرح

فإذا أردت بيانه فاعمد إلى معكوس سابع كلمة فى « سنج »

وفي موسى :

رأيت في حلق غزالا
فقلت ما الاسم قال موسى
تخير في وصفه الميون
فقلت هنا تملق الذقون

وفي عيسى :

ناديت يا عيسى ترفق بامرئ
عيسى بن مريم كان يحبي من يرى
أحشاؤه قد أحرقت نهاكا
ونمت أنت الحى حين يراكا

في داود :

وثقت بأن قلبي من حديد
فلان على هواك ولا عجيب
وفيه على الهوى بأس شديد
إذا داود لأن له الحديد

وفيه أيضا :

أسمى يقر بحسنه بدر الدجى
فإذا بدا فكأنما هو يوسف
وغدا يذوب بحسنه الجلود
وإذا شدا فكأنه داوود

في سليمان :

له وجنة تدمى من اللحظ رقة
فهذا سليمان لركة خده
يكاد بها ماء الشبية ينهل
إذا دب فيه النمل كلمه النمل

في خضر :

مهمف طلعتة ليس بها
يمرى لنا ماء الحياة وثره
مناظره وقده غصن نضر
لا تمجبوا ماء الحياة فهو خضر

في رجب :

دموعى ربيع والرقاد محرم
وفي القلب من شعبان نيران نصفه
على جنن عيني مذ هجرت بلا سبب
فجدلى بما أرجو من الوصل يارجب

في شعبان :

شعبان قد أسمى بهز معاطفا
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة
أبدت حلاوة خصره مع ردفه
شعبان كل حلاوة في نصفه

على بن سودون - في بركات :

رشاً يصيد الأسد في الفتات
قد صاد كلّ فتى وكلّ فتاة
الوجه منه مبارك فإذا بدا
لا تأسنْ يا قلب من بركاتِ
ابن القيصراني في منصور :

يا قمر الوصل في جنة
ما سكنت ولدائها الحور
كم حارتك الشمس في حسنها
وأنت يا منصور منصور
النواجي في نجم :

قد كنت أحسب نجم الدين يمتحنى
من وصله كل ما أهوى وأختار
حتى رماني في نيران مهجته
فصحّ عندي أن النجم غرار
وله في سعد :

أنا قد همت بسعد
وتفانيت بوجهه
فأطرح نصيحي ودعني
إنما المرء بسعده
وله في سعيد :

سموا مني مهجتي سعيداً
ولى شقاء به يزيد
إذا اجتمعنا يقول صدرى
هذا شقّ وذو سعيد
وله في قاسم :

شكوت له حالى وفرط صبايى
فتناه دلالاً واثنى وهو باسم
وقال استعصر صبرى وكن متأسيّاً
فتحن قسمنا وارض بالحب قاسم
ابن المطارفي يحمي :

أيمكن ساوتى يحمي ؟ وروى
تكابد في هواه عليه أشيا
وقلبي يشتهى فيه اكتئابى
ويرضى أن أموت بحب يحمي
وله في هاشم :

في هاشم قلبي بدا دايماً
من لحظه الفاتك بالعالم
وكسر قلبي صحّ في عشقه
لقلّة الإنصاف في هاشم

وله في عامر :

حببي يدعى في الأنام بعامر
يهتد قلبي بالصدود وبالجمفا

وله في فرج :

وليس لي غلص أرجو النجاة به
لكن أضمت بيت القائل بن رجا

آخر :

يا لاثمي في رشيقي القند معتدل
أشكو الشدائد من وجد أكابده

للحجاج في أمير حاج :

مننت بزورة للعيد يوماً
وأما إن دعيت أمير حاج

ولابن نباتة في عماد :

قالوا العباد مليح
بحسنه قلت قصدي

لعز الدين الموصل في جرادة :

لقبوه جرادة وهو ظبي
صدنه فامتلا فؤادي شجماً

لابن نباتة في إلياس :

أندى مليحاً في البرايا لم أزل
قالوا أنقطعه كبيراً قلت من

لنزي في إسماعيل :

اسم من قد هويت ست حروف
عيل صبرى تمام اسم حببي

نصفها ما تبديت فاستنهموها
ما على العالمين لو فهموها

لابن الصايغ، في حسن :

إن الحسود عندما عاين ذا الحسن افتتن
وقال لا بدع إذا أتى على بالحسن

وفي حسين :

حسين سباني حسنه ولحاظه
رمانى بهمم اللحظ قلت له اتند
وقامته كالخيزانة تنثني
سميك مقتول وأنت قتلتني

وفي بدر :

سموه بدرأ وذاك . لما
وأجمع الناس إذ رأوه
أن فاق في حسنه وعما
بأنه اسم على مسمى

وفي كمال الدين :

ديني تكل مذ جُعلتم قبلي
وغدوت أنشد في البرية كآها
وسجدت في أعتابكم يجيبني
ما الفخر إلا في كمال الدين

في عز الدين :

مولاي عزّ الدين يامن غدا
بكم حقيقاً حسنت حالتي
مادحه ما زال في عزّ
والذلّ قد بدل بالعزّ

في تاج الدين :

يبابك تاج الدين قد جئت مهدياً
فزادت بهاء من عطائك سيدي
جراهر لفظ لم ينلني تاجر
وفي التاج أهبى ما يكون الجواهر

الشهاب الصائم، في حبّ الدّين :

في ملاح لك شتى
كم ليالي مع غزال
ضعف القاب وشتا
يا محبّ الدين بتا

في شرف الدين ، يهجو ، وأجاد :

السيادة	يرجون	الدين	شرف	لقبوه
وزيادة	وهو	خير	يرجى	منه

كيف يهجو فيه :

لو أنصفوا	شموك	زعرورا
وأنت لا زيت	ولا نورا	

لأن الزيتون زيت يضي

في تونس :

وكانوا حبيب القلب بدره	وقده
فلم يكن غصنا لما كان مائلا	

آخر، وأجاد:

له مقلة سوداء والحدّة أطلس	شفت بفتان اللواحف أهيف
فيوحشني والحب في القلب يونس	فإن غاب عن عيني تصورت شخصه

في مقبل :

ما زال عنه كلّ يوم يسأل	يا من تحجب عن حبّ صادق
ويقال لي هذا حبيبك مقبل	من لي بيوم فيه يسمح باللقا

في شاهين :

خطف القلوب وبالأحاطة شاهينا	يا من تسمّى بشاهين وسيمته
فهل ترى أنت يا شاهين شاهينا	قد اشتبهناك بالشاهين لا نقسا

في عنبر :

وعرف رياه قد تمطر	مذ رأي عنبر جبيلي
وشاقي من شذاه عنبر	أرشفني من لاه نخرأ

في بشرى :

وجا كبد	منير	بشير	سبا	مهجتي
والواصل	وافي	بشير	جاد	لي بالرضا

في سنبل :

يقولون لي إذ زار في الحبّ سنبل
أهذا شذاً مسكٍ تَضُوعُ نشره
وقد فاق ربّاً نشره كلّ مندل
فقلت له هذا شذاً عرف سنبل
في كافور :

مذ زار كافورنا البديع سنا
شاهدت من خاله بوجنته
ووجهه حفّ من سنا النور
نقطة مسكٍ تبدو بكافور
في مسرور :

يقولون لي مسرور وافتك زائراً
فقلت لهم قد زال همي بوصله
وقد بت بالصباية ماسوراً
وقلبي به في الحب أصبح مسروراً
في ريحان، والله درّه :

فدبت ريحان صبا بالجوّ
لما رنا بلحاظه من زرجس
وبعاد قلبي شفه الأشجان
وبدا بعارض خدّه ريحان
في صبيح، وأجاد :

أرى صبيح مهجتي قد سبي
فكيف لي بالصبر عن حبه
وصير اللمع بخدّ يسبيح
وقد سبي قلبي بوجه صبيح
في مبارك :

مبارك يا عدولي
لو زارني كنت أحظي
أطلت فيه مقالك
منه بكعب مبارك
في فرج :

يا قلب صبراً إذ أناني فرج
وربما تبلغ المراد وكـ
عساك بالوصل منه تبتهج
قد جاء عند الضيق الفرّج

ما قيل في المهن والحرف :

في إسكاف :

ربّ إسكاف مليح حسنه ذاب قلبي منه صدًا وجفا
كلّما أشكو إليه سقمي قال ما عندي سوى هذا الشفا

في بخاتق :

تسلطن في الملاح بخاتق ولم يرض بيدر التّم نايب
وصفّ له من الأتراك جندًا وأصبح موكبًا تحت المصايب

في حباك :

يا مليحًا مهذب مقلته صاد قلبي منه بالشرك
مذ رأيت الحبك صنعته قلت هذا البدر في الحبك

عز الدين الموصلی، في حجام :

وحاجم في الكاس أجرى دما من ساق ساقينا ياشفاق
لكنّه خالف في شرطه فتحكم الكاس على الساق

في حریری :

حریری يبيع الحسن لكن شبيه النصن والبدر النير
كسى جسمی السقام ولا عجيب لثوب السقم من هذا الحریری
وما أحسن من قال ما ينسج على تكة .. وأجاد :

أنا قفل من حریری ... فوق خصر مستدير
أنا لا أفتح إلا ... عند أوقات السرور

وقال في حداد، وأجاد :

تمسّقت حدادًا بديع ملاحه له طاعة في الحسن تعلو وتشمع
إذا رمت بالتطريق وصلًا بقربه أراه ستر النیظ ثم ينفخ

في حلاوى :

ريق الحلاوى أحلى من حلاوته
والذمع سكب وأحشائي تقوضه
لابن الوردى فيه أيضاً :

الحلاوى قال لى
سهم عيني مسبر
والصفدى فيه أيضاً :

إن هذا الصبي الحلاوى أضحي
لا تمارضه في هواه بشكوى
في حوايجي :

حوايجي أتيت أسأله
في عنقي دمل به ورم
لابن الوردى، في خياط :

لما أتى والمقص في يده ...
فقال وصلًا يعوز قلت له
وأيضاً فيه :

مررت بخياط حكي البدر طلعة
يقدة ويفرى الثوب ثم يخيطه
وللأزميرى فيه أيضاً :

لله خياط إذا سألته
وإن شكوت غمتي لردنه
في ذهبي :

عشقه ذهبي اللون طلعت
إن ملت طبياً إليه ليس ذا عجب
أهوى من البدر بل أهوى من الشهب
فالتاس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وفيه أيضاً :

إلى الذهبي صبا قلبي وكم يدعوه للعطب
ألم ترى على شغقي أحبّ الرضع في الذهب

وفي راشد :

أقول لراشدى لما تبدى عساه يكون لى بالوصل ناجد
بحسن جمالك الحسن الفدى إلى العشاق قد وافاك راشد

وفي رسام :

هويت رساماً كبدر الدُّجى وثمره كالدرّ إذا تبسم
قلت له صلي ولو ساعة قال بكم ؟ قلت : بما ترسم
وفي رفاً :

يا رافيا قطع كلّ ثوب يا بنيسة النفس يا مرادى
عسى بخيط الوصال ترقى ما فرق المجر من فؤادى
وللصندى فيه أيضاً :

ورفاً له وجهٌ مليحٌ محاسنه البديعة ليس تحفى
شغلت به الفؤاد ولا زمانا أرى ثوب الفؤاد يمد زرفاً

في بيع ربحان :

يا صاح ربحاننا قد زارنى وبكاس فيه لآ سقانى
لما نظرت إلى شقايق خده سب الفؤاد عذاره الربحان
وللصندى في سكرى :

سبنتى صفات السكرى الذى له بضاعته حتى عدت قرارى
مكرر لفظ فى سنينات مبسم وأحمر خدّ فى نبات عذار
ولابن العربى . . فى مليح يسبي الفؤاد :

وظبى يطرق بمرآته فيسبى فؤادى من لطفه
وهيهات أن أرتجى من هواه خلاصاً ودفى فى كفه

ولبدر الدماميني، في سبائك :

سبائك تبر وفضة صنعته
قلت له سبني أنا وأخي
وقال آخر، وأجاد، في سروجي :
فتنت به سروجيًا بديعاً
إذا جذب الغرام له عناني
في سقا :

لله سقا له طلعة
أروم أن يسكب لي قربة
وللأزميري فيه أيضاً :

عشت سقا كالزال رضا به
يروى المبرد عن لاه كمللاً
ولشيخ الشيوخ بمحاة، في شرابي :
سألته من ريقه شربة
فقال أخشى يا شديد الظما
ولابن الصايغ، في شماع :

نظرت إليه شماعاً مديحاً
له خدّ جر لا لهيب
مواليا في صابوني :

حبّيت أهيف رقيق الخصر صابوني
والله لو فتشوا قلبي لصابوني
ولبدر الدين الدماميني، في صايغ :

وصايغ شادن هام الفؤاد به
يا ليتني كنت منفخاً على فمه
وحبه في صميم القلب قد رسخا
حتى أقبل فاه كلما تنفخا

وله أيضاً في طيب :

طبيب يحاكى النصفن في حركانه
أصير روى في هواه سبيلاً
عجباً له يرى السقام بلطفه
وبطرفه يدعى السقام عليلاً
وله في طحان :

لله طحان تبدى وجهه
قراً له قمر السماء رقيق
وجناته ماء ولكن قلبه
حجر وأما خصره فدقيق
وله أيضاً في عطار :

قلت لطار به صبوق
أسقينى كأس غراى به
وفي ملىح جالس عند عطار :

وعطار مررت عليه يوماً
فقلت له أعندك ماء ورد ؟
وجدت بجنبه ظلياً رمانى
فقال : نعم ، وعندى ما لسانى
ولابن الفرس ، وأجاد ، في عوام :

يا حسن عوام كنصن النقا
ويقنع العشاق معه بأن
وقال آخر ، وأجاد ، في فاخران :

سباني فاخران بديع حسن
فهمت من النرام له بحب
وفى قباني :

أفرت إلى الحبيب وقد تبدى
فدل بحسنه تيهاً ونادى
وللسيد محمد رضوان الرعاد - في قصاص :

أشكو إلى الله قصاصاً يجز عني
إن تحسن القص ينماه فقلت
بالصد والمجير أنواعاً من القصص
أيضاً قص علينا أحسن القصص

في بايع الكتان :

رج حبة لم يزل قلبه
من طلب التسريح من حبه
ولا بن الوردى - في كفتى :

لا أرى من محبة لي غرجاً
مذ تبدى في حديد فحكي
ولا بن العفيف - في كوانى :

اسم حبيبي وما يعانى
قالوا على فقلت قدر
وقال آخر، في مليح مكحول :

يا أيها الرشا المكحول ناظره
إن انهمسك في التيار حقق أن
ولا بن الوردى، في مزين :

بأبي شادن تملك روى
مسك الكلبيين قلت عجيب
ولا بن الفضل بن أبي الوفاء، في مجبر :

أحببت من بين الأنام مجراً
ناديته قلبي كسير بالجو
ولا بن الوردى، في مهميزى :

صاح هذا الهماميزى عارضه
وجاد بالوصل لي يوماً رفست على
ولآخر - لبايع الفخار :

بائع الفخار بدر
ما الذى تبغيه متى
قال للماشق جهره
قال قصدى ألف جره

وفي ملالي :

ملالي المراق نوى حجازا به العشاق وجداً قد أمالا
إذا سألوا وداعاً لم يجبههم بلا إليه ولا نم ولا لا
وقال ابن عربى ، فى ناتف :

وقالوا دع المحبوب وأهجره دائماً أَلَمْ تَرَهُ بعد الملاحه ينتف
أينتف من أجلى ويتعب نفسه وأهجره تالله ما أنت منصف
ولابن الوردى ، فى نطاع :

هويت نطاعاً إذا جيته بادرنى باللحظ والصفع
أروم أن أحظى بوصله وقد قابلى بالسيف والنطع
وللسراج الوراق ، فى ورق :

يا حسن ورق أرى خده قد راق فى الثقيل عندى ورق
تميس فى الدكان أعطافه ما أحسن الأغصان بين الورق
وقال ابن حبيب فيه أيضاً :

فتلت بحسن ورق تقور بقلب الصب نار البحر أصلاً
صقيل الوجه كم ذرح لديه وبفضب إن طلبنا منه وصلاً
وللسيد محمد رضوان الرعاد ، فى وقاد :

أحببت وقاداً كبدر طالع أنزلته برضى النرام فوادى
وأنا الشهاب فلا تمائد عاذل إن ملت نحو الكوكب الوقاد
وللصفدى ، فى قطان :

قطاننا	مفهف	تمتله	أردافه
ناديت من وجدى به	يالىتى	ندافه	

وله فى بياع مرسين :

يا صاح مرسيننا لو زارنى يوماً لكان بوصله يشينى
لما نظرت إلى رياض خدوده سلب الفؤاد عذاره المرسينى

وله، في بيع نجس :

بالروح أمدى فوجيا خدّه ورد وآس عذاره كالسندس
لما دنا ونظرت روض جماله زهتُ طرفي في عيون النرجس

وله، في بيع بنفسج :

سبا بنفسجنا
لما بدا في خدّه بحسفه قلبي الشجى
عذاره البنفسجى

وله، في بيع تفاح :

لله من بيع تفاح إذا غلبني بحسن جبينه الوضاح
لما نظرت لحسن نرجس كفه هام الفؤاد بخدّه التفاح

وله، في بيع سفرجل :

لله من سفرجل شاقى بفتح طرف بابلٍ أكله
حيّا بكاس الراس مع القرنفل ما أحسن الراح مع السفرجل

وله، في بيع الورد :

لله وردٌ نبا البديع سنا وما جرى في الثمر من شهيد
لما تأملت روض وجنته تيمّ قلبي بخدّه الورد

عداوة النساء

طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعضاء :

ذمّ بعض الحكماء من القدماء - جماعة النساء ، فقال :

هنّ نار توهج ، وسلّم إلى كلّ بلاء ، وهنّ مثل شجرة الدفلى ، لها رونقٌ وبها ثمر
إذا أكله البعير آذاه وقد يودى به .

ومن أمثالهم : طاعة النساء تردى العقلاء ، وتذلّ الأعضاء . . .

ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تنزين وتتعطر ، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها
وزاد مجالها ، فقال لمن حوله : إنّما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت واشتدّ حرّها ،
وضاءت للناس ، فهي حسنة المنظر ، تحرق من دنا منها .

وقال بعض الحكماء : الكيس من لم تضطره النساء . وقال أيضاً : من كانت لذّته في النساء ،
وقع في أعظم البلاء . .

وقال : من أراد أن يميت عيشة رعد ، ويحيا حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة
النساء ، ولا يوى إلهن بطرفه ولا ييده .

وقال حكيم : كلّ أسير يفتكّ إلّا أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكلّ مالك يملك
إلّا ممالك النساء فإنه مملوك ، وما استرعين شيئاً قط إلّا وضاع ، ولا استؤمننّ على سرّ إلّا
ذاع ، ولا أطلقنّ سرّاً فقصرن عنه ، ولا حوين خيراً فأبقين منه ، فقليل له :

كيف تدمّهنّ ، ولولا هنّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء ؟ !

فقال : مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء ، لا يلامسها جسدٌ إلّا اشتكى ، وحملها
مع ذلك الرطب الطيب الجي . والسلاء : جمع سلاء وهي شوك النخل . .

وروى فيهن : أنهن حملات الآصار، ومكلفات الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار ، وأنهن يسرعن اللعن ، ويكثرن الطعن . وفي الحديث : أنهن يكفرن العشير ، وينكرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط !

وقال لقمان : استعذ بالله من شرار النساء ، وكن من خيارهن على حذر .

وقيل لبقرط : أى السباع أحسن صورة ؟ فقال : النساء .

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها ، فقال : قد ذهب نصف الشر .

ورأى البحر قد حمل امرأة - فقال : مرئى يجنى شرأ . . ورأى رأس امرأة على شجرة فقال : ليت كل الشجر يشمر مثل هذا الثمر .

ونظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يعرس ، وقد زين داره وزوقها وكتب على الباب : « لا يدخل على من هذا الباب شيء من الشر » .

فالت له : « فأمرأتك من أين تدخل ؟ » .

وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لهن : اسكنن ، فإنما أنتن لعب ، إذا فرغ لكنن ، لعب بكن .

وقيل إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يجاربنه ، فقال لأصحابه : كفوا عنهن ، فإن ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا نخر ، وإن غلبنا فهي الفضيحة الباقية مع الدهر .

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال ، وأن أزواجهن يسكن ناحية منهن ، فتى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها فتضى مدة عندها وانصرف فإذا ولدت ولداً ربته حتى يكبر وأرسلته إلى أبيه . وإن كانت جارية طعست ثديها الأيمن حتى يبس لثلاً يمنها الطعن بالرمح ، وتركه الآخر الأيسر - لترضع به ولدها ، ومع هذا فلا تؤمن صحبتهن ، ولكن لابد من الأدب في ذلك .

قال عمر رضى الله عنه : عَوَّدُوا نِسَاءَكُمْ - لَا ، فَإِنْ - نَعَمْ - تَجْرِبُهُنَّ عَلَى الْأَسِنَّةِ .
وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شاوروهنَّ وخالفوهنَّ »
وقال على - رضى الله عنه - لابنه محمد بن الحنفية : إِيَّاكَ يَا بَنِيَّ وَمَشَاوِرَةَ النِّسَاءِ ، فَإِنْ
رَأَيْتَهُنَّ إِلَى الْأَفْنِ ، وَعِزْمَهُنَّ إِلَى الْوَهْنِ . وَكَفَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَنْصَارِهِنَّ بِحُجْبِكَ إِيَّاهُنَّ ،
وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ ، وَلَا تَطْلُ الْجُلُوسَ مَعَهُنَّ فَيَهْلِكَنَّكَ وَعَمَلُهُنَّ ، وَاسْتَبَقَ
مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « كَلَّ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ ، وَلَمْ تَكْمَلِ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا امْرَأَتَانِ : أَسِيَّةُ بِنْتُ مَزَاحِمَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ .
وَخَاطَبَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ - نِسْوَةً فَقَالَ لَهَا : « إِنْ كُنَّ إِذَا جَعَنْتِ دَقْعَتَيْنِ ،
وَإِذَا شَبِعْتِ أُفْرِئَتَيْنِ » . وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ وَرَدَ - بَدَلًا مِنْ لَفْظِ (أُفْرِئَتَيْنِ : حَجَلَتَيْنِ) .
وَمَعْنَى (دَقْعَتَيْنِ : خَضَعْتَيْنِ وَلِصَقْتَيْنِ بِالْدَقْمَاءِ ، وَهِيَ غَبْرَةُ التُّرَابِ ، وَيُقَالُ - فَرَّقْتُ مَدْقِعًا ،
أَيَّ مَلْصَقًا بِالْدَقْمَاءِ . وَقَالُوا : رَمَاهُ اللَّهُ بِالْدَقْمَةِ ، وَهِيَ الْفَقْرُ وَالذَّلَّةُ ، وَجُوعٌ دِقْوَعٌ - أَيَّ :
شَدِيدٌ .

وقال النبي عليه أفضل الصلاة والسلام - فِي النِّسَاءِ : « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضُرُّ عَلَى
الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ » . وَفِي الشَّهَابِ : النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ السَّيِّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ :
مَا أَيْسَ الشَّيْطَانُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَتَاهُ مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ . وَقَالَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً ،
وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ : مَا شَيْءٌ أَخَوْفَ عِنْدِي مِنَ النِّسَاءِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

أَضُرُّ شَيْءٌ عَلَى الْإِنْسَانِ شَهْوَتُهُ تِلْكَ الَّتِي أَوْرَدَتْهُ لُجَّةَ النَّكَدِ
إِنَّ الْفَضُولَ لَعَمْرُ اللَّهِ أَدْخَلَهُ فِي أَنْ يَكَايِدَ هَمَّ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
يَحْتَاجُ دَارًا وَأَهْلُ الدَّارِ يَطْلُبُهُ كُلُّ شَهْوَتِهِ ، فَلْيَعْطِ ، أَوْ .. يَعِدِ
فَاضْطَرُّهُ الْحَالُ أَنْ يَسْعَى لِيُرْضِيَهُمْ فَظَلَّ مِنْ بَلَدٍ يَسِيرُ إِلَى بَلَدٍ
كَأَنَّهُ حَبْرٌ يَرَى بِهِ نَزَقُ مِنْ هَاهُنَا لِهُنَا ، أَوْ مِنْ يَدٍ لِيَدٍ
مَا هُمُ الدَّهْرُ إِلَّا مَا يُولِّفُهُ وَمَا يَجْمَعُهُ مِنْ جَيْدٍ وَرَدِي

وما يبالي حراماً منه ذاك أنى
حتى إذا اجتمعت تلك المكاسب من
أُمسَى يُفَرِّقُهَا فِيهِمْ وَيُنْقِضُ
وَرُبَّمَا أَسْخَطَ الْمَسْكِينُ خَالِقَهُ
الْفَرَضُ ضَيْعَهُ ، وَالَّذِينَ أَتْلَفَهُ
وَكُلَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ النِّسَاءِ ، فَلَا
يَسْلُبُنَّ لُبَّ ذَوِي الْعَقْلِ الرِّبَّيْنَ ، كَمَا
يَارُبُّ شَهْوَةَ وَقْتٍ أَوْرَثَتْ غُصَصًا
قَدْ كَانَ فِي شُغْلِهِ عَنْهُنَّ قَاطِبَةً
لَكِنَّهُ عَمِيَتْ عَنْ ذَلِكَ مُقْلَتُهُ
وَمِنْ شِعْرِ أَبِي الْعِمْرَانِ الْمُبَرِّقِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَقَالُوا : تَرْجُو فَنِعْمَ الْفَتَاةُ
وَلَوْ أَسْتَطِيعُ لَطَلَقْتُ نَفْسِي
أَأَشْقَى بِهَا دُونَ مَا ضَرَفَ
وَمَا تَقْنَعُ الْعَرِيسُ مَتَى بِشَيْءٍ
فَنَفْسِي أُولَى بِنَفْسِي ، وَدَعُ

بَنَاتِ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الرِّزَايَا :

أَنشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْيَزِيدِيُّ ، قَالَ : أَنشَدَنِي عَمِّي لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

مَطَايَاتُ السُّرُورِ بَنَاتُ عَشْرِ
فَأَنْفَ جَاوِزَتِهِنَّ فَسَّرَ قَلِيلًا
مَقَاسَاةُ النِّسَاءِ مَعَ اللَّيَالِي
إِذَا أَوْلَدَتْهُنَّ مِنَ الْبَلَايَا

طرائف عن الحب

حيلة عاشق :

كان لأبي المتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفة مع « عتبة » جارية المهدي ، تدلّ على كمال ظفره ؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال :

« إن أبا المتاهية لما ألحّ في أمر « عتبة » - لأول دخوله بغداد ، ولم يزل منها شيئاً ، وجدها يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر ، فضى فلبس ثياب راهب ، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه ، وسأل عن رجل كبير في السوق ، فدلّ على شيخ صائغ ، فجاء إليه فقال : إني قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة . . يعني « عتبة » .

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق ، وجاء إلى « عتبة » فقال لها : إن الله قد ساق إليك أجراً ، هذا هو راهب قد رغبت في الإسلام على يدك . فقالت : هاتوه . فدنا أبو المتاهية منها - وهو في زي الراهب - فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . ثم قطع الزنار ، ومال على يديها فقبلها .

فلما فعل ذلك ، رفعت البرنس عن وجهه ، فمرقتة وقالت : نَحْنُوهُ ، لعنه الله ! فقالوا لها : لا تلغينه فقد أسلم . فقالت : إنما فعلت ذلك لَتَقْدَرَهُ . فعرضوا عليه كسوة ، فقال : ليس لي حاجة إلى هذه ، وإنما أردت أن أتمرّف بولايتها ، فالحمد لله الذي منّ عليّ بحضوركم .

وجلس أبو المتاهية ، فجمعوا يعلمونه (الحمد) وصلى معهم العصر ، وهو في ذاك ينظر إليها ، لا تقدر له على حيلة !

وحديث البرد : أن « رَيْطَةَ » بنت أبي العباس السّفّاح ، وجمّعت إلى عبد الله بن مالك الخزازي في شراء رقيق للمعتق ، وأمرت جاريها (عَتْبَةَ) - وكانت لها ثم محبت « الخليزان » بعدها - أن تحضر ذلك . فلما جالسة إذ جاء « أبو المتاهية » في زي متنسك فقال لها :

جعلني الله فداك ، شيخ ضعيف لا يقوى على الخدمة . فإن رأيت - أعزك الله - شراي وعق ، فعلت مأجورة . فأقبلت على عبد الله فقالت : إني لأرى هيئة جميلة ، وضعفاً ظاهراً ، ولساناً فصيحاً ، ورجلاً بليناً ، فاشتره وأعتقه . فقال : نعم أفعل . ثم قال لها أبو العتاهية : أتأذنين لي - أصلحك الله - في تقبيل يدك ؟ فأذنت له ، فقبل يدها وانصرف . فضحك عبد الله بن مالك وقال لها : أتدرين من هذا ؟ فقالت : لا . قال : هذا أبو العتاهية ، وإنما احتال عليك حتى قبّل يدك !

بين الحب والمال :

وكان أبو العتاهية قد قصد بغداد من الكوفة ، مع زميلين له ، ليستفيد بشعره عند أمرائها ، ولم يكن لهم في بغداد من يقصدونه ، فنزلوا غرفةً بالقرب من الجسر ، وكانوا يكرّون فيجلسون بالمسجد الذي يباب الجسر ، في كلّ غداة . فرّت بهم يوماً امرأة راكبة ، معها خدم سودان . فقالوا : من هذه ؟ قالوا : خالصة . فقال أحدهم : قد عشقت خالصة . وعمل فيها شعراً أعانوه عليه . ثمّ مرّت بهم أخرى ، راكبة أيضاً ، ومعها خدم بيضان . فقالوا من هذه ؟ قالوا : هذه (عتبة) فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة . وعمل فيها شعراً .

ولم يزالوا كذلك ، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين ، وتحدث الناسُ بمشق أبي العتاهية وزميله لها . فقال صاحبا الجاريتين : نمتحن العاشقين بما على أن يدا التمرض للجاريتين . فإن قبلا المال كانا مستأكلين ، وإن لم يقبلاه كانا عاشقين .

فلما كان الند ، مرّت (عتبة) فعرض لها صاحبها ، فقال له الخدم : اتبعنا ، فتبعهم ، فحضت به إلى منزل خليف لها زار . فلما جلست دعت به فقالت له : يا هذا ، إنك شاب ، وأرى لك أدباً ، وأنا حرمة خليفة . وقد تأثنتك ، فإن أنت كففت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ، ثمّ لم آمن عليك .

فقال لها أبو المتاهية : فاعلى ، بأبى أنت وأمى ، فإنك إن سفكت دمي أرحمتي . فأسألك بالله إلّا فعلت ذلك إذا لم يكن لي فيك نصيب . !

فقالت له : أبقي على نفسك ، وخذ هذه الخمسة دينار ، واخرج عن هذا البلد . فلما سمع ذكر المال ولّى هارباً ، فقالت : ردّوه ، وألصّت عليه فيها . فقال لها : جُعِلْتُ فداك ، ما أصنع بمرص زائل من الدنيا وأنا لا أراك ؟ . والله إنك لتبطين يوماً واحداً عن الركوب ، فتضيق على الدنيا بما رحبت . فزادت له في الدنانير ، وما زالت تلحّ عليه فلا يزداد إلّا رفضاً .

قليل منك يكفيني :

ومن ألطف ما قاله أبو المتاهية في (عتبة) قوله :

بالله يا خلوّة العيتين زوريني قبل المات ، وإلّا .. فاستزيريني !
هذان أمران ، فاختاري أحبهما إليك ، أو .. لا . فداعى الموت يدعوني
إن شئت موتاً ، فأنّت الدهر مالمكة روحي ، وإن شئت أن أحيأ ، فأحيني
يا (عتّب) ما أنت إلّا بدعة خلقت من غير طين ، وخلق الناس من طين
إني لأعجب من حبّ يقرّبني ممّا يباعدني عنه ، ويقصيني
لو كان ينصفني ممّا كلّفت به إذن .. رضيت ، وكان النصف يرضيني
يا أهل ودّي . إني قد لطفت بكم في الحبّ - جهدي - ولكن .. لا تبالوني
الحمد لله ، قد كنّا نظنّكمو من أرحم الناس - طراً - بالساكين
أما الكثير ، فلا أرجوه منك ، ولو أطمعتني في قليله كان يكفيني

وله فيها قصائد كثيرة أخرى ، يقول في إحداها :

ألا يا (عتّب) يا قمر الرصافة ويا ذات الملاحه والنظافة
رزقت مودتي ، ورزقت عطفني ولم أرزق - فديتك - منك رافة
وصرت من الهوى دنفاً سقيماً صريماً كالصرير من السلافة
أظّل إذا رأيتك مستكيناً كأنك قد بُثت على آفة

ومن قوله فيها أيضاً :

قَالَ لِي أَحْمَدُ ، وَلَمْ يَدِرْ مَا بِي
فَتَنَفَّسْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : نَعَمْ ، حَبًّا
لَوْ تَجَسَّيْتَ يَا عُتْبَةَ (قَالِي
قَدْ لَمَعَرَى مَلَّ الطَّيِّبُ وَمَلَّ الـ
كَيْنَى مَتَّ فَاسْتَرَحْتُ ، فَإِنِّي
أُتَجِبُّ النَّدَاةَ (عُتْبَةُ) حَقًّا ؟
جَرَى فِي الْعُرُوقِ ، عَرَقًا فَمَرَقًا
لَوَجَدْتَ الْفُؤَادَ قَرَحًا . . تَقَى
أَهْلُ مَتَى ، مِمَّا أَقَامِي وَالْقَى
أَبْدًا . . مَا حَيْثُ - مِنْهُ مَلَقَى

وفيه يقول :

(عُتْبَ) مَا لِلْخَيَالِ
لَا أَرَاهُ . . . أَنَانِي
لَوْ . . . رَأَى صَدِيقِي
أَوْ . . . يَرَانِي عَدُوِّي
خَبْرِيْنِي وَمَالِي ؟
زَائِرًا . . . مُذْ لَيْلِي
رَقَى لِي ، أَوْ رَقَى لِي
لَانِ مِنْ سُوءِ حَالِي

من الحب إلى الزهد :

وحدث أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب ، قال :

كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عتبه) - فوعده بتزويجها ، وأنه سيسألها
في ذلك فإن أجابت جهزها له وأعطاه مالاً عظيماً . ثم إن الرشيد سئله شغل استمر به ،
فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه . فندفع إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها
على الرشيد وهو يتبسّم ، وكانت بجمعة ، فقرأ على واحدة منها مكتوباً :

ولقد تسبمت الرياح لحاجتي فإذا لها من راحتيك شميم
فقال الرشيد : أحسن الحديث . إذن . . على بالثانية . وكان مكتوباً عليها :
أعلقت نفسي من رجائك ماله عَنَقُ يَحْتُ إِلَيْكَ بِي ، ورسم
فقال الرشيد : على بالثالثة ، وكان مكتوباً عليها :

ولمّا استيأست ، ثم أقول : لا إن الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد : فاته الله ، ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال له : قد ضمنت لك يا أبا العتاهية ، وفي غدٍ تقضى حاجتك إن شاء الله ، وبعت إلى (عُبَيْة) وقال لها : إن لي إليك حاجة ، فانتظري لي الليلة في منزلك .

فأكبرت (عبّية) ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستغفبه ، خلف ألا يذكر لها حاجته إلا في منزلها .

فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي أو تضمين قضاءها ؟ قالت : أنا أمُتُك ، وأمرُك نافذٌ فيّ .. فيها خلا أمر أبي العتاهية ، فأتى حلفت لأبيك رضى الله عنه - بكلّ عيّن يحلف بها برٌّ وفاجر . وبالشئ إلى بيت الله الحرام حافية ، كلما انقضت عني حجّةٌ وجبت على أخرى ، لا أقصر على الكفارة ، وكلما أفدت شيئاً تصدّقت به ، إلا ما أصلى فيه .

وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها .

وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسروور وحسين ورشيد وغيرهم سهود لي بذلك . وشرح له الخبر .

قال أبو العتاهية : فلما أخبرني الرشيد بذلك ، مكثت ملياً لأحدى أين أنا قائم أو قاعد ؟ قلت : الآن يئس منها إذ ردّتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحداً بمدك .

ثم لبس أبو العتاهية الصوف ، وترهّد ، وقال في ذلك شعراً كثيراً ، منه قوله :

قطعت منك حبال الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالي
ووجدت برد اليأس بين جوانحي فننيت عن حلّ وعن ترّحال

وروى أبو سلمة الغنوي أنه قال لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول النزل

إلى قول الزهد ؟ فقال أبو العتاهية : إن الله أخبرك ، إنى لما قلت :

الله بيني وبين مولاي	أبدت لي الصد والملاّات
منعها مني وخالصتي	فكان هجرانها .. مكافاتي !
هيمنني حبها ، وصيرني	أحدوثاً في جميع جاراتي

رأيت في المنام تلك الليلة ، كأنّ آتياً أتاني فقال : ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عتبة ، يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى ؟ .. فانتبّهت مذعوراً ، وتبت إلى الله تعالى من ساعتى من قول النزل .

مَعِيَ بَيْنَ أَصْلَعِي :

الحبّة هي بذلك المجهود فيما يرضى الحبيب^(١) . وقيل : هي سكون بلا اضطراب ، واضطراب بلا سكون . يضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوه . ولا يزال يضطرب شوقاً إليه حتى يسكن عنده . وهذا معنى قولهم : هي حركة القلب على الدوام إلى المحبوب ، وسكونه عنده . وقيل : هي مصاحبة المحبوب على الدوام . كما قيل :

ومن عجبٍ أنّي أحنُّ إليهمُ وأسألُ عنهمُ مَنْ لقيتُ وهمُ معي
وتطلبهم عيني وهمُ في سوادِها ويشتاقهم قلبي وهمُ بين أَصْلَعِي

يرى الفؤاد الروحانيّ يتمزجان :

وقال ابن الرومي :

أعاقبُها والنفسُ بعدُ مشوّقةٌ إليها . وهل بعدَ العناقِ تدانٍ ؟
والثَمُّ فها كي تزولَ صبابتي فيشتدُّ ما عندي من الخفقانِ
ولم يكُ مقدارُ الذي بي من الجوى ليشفيهُ ما ترشف الشفتانِ
كأنّ فؤادي ليس يشقى غليله سوى أن يرى الروحانيّ يتمزجانِ

(١) في روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ٢٩ .

لئن ساءني لقد سرني :

وقال عبد الله بن الدمينه :

ولو قلت : طأ في النار، أعلم أنه
لقد مت رجلى نحوها ... فوطئتها
لئن ساءني أن نلتني بمساءة
رضاً لك أو مدني لنا من وصالك
هدى منك لي، أو.. ضيلة من ضلالك
لقد سرني أني خطرت ببالك

العشق عفة ونزاهة :

قال الشاعر :

إذا كان حظُّ المرء ممن يحبُّه
حديثٌ كماء الزن بين فصوله
ولم فم عذب اللثات، كأنما
وما العشق إلا عفة ونزاهة
وإني لأستحي الجيب من التي
حراماً، خطي ما يجل ويَجْمَلُ
عتاب به حُسن الحديث يُفَصِّلُ
جناهن شهد فت فيه القرنفل
وأنس قلوب أنهن التفرُّل
تريب، وأدعى للجميل فأجل

الطرف رسول رائد للقلب :

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مهابة ، فجعلت أنظر إليها وأملاً عيني
من محاسنها ، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :
وكننت متى أرسلت طرفك رائدا
رأيت الذي لا كله أنت قادر
لقلبك يوماً ، أتمبتك الناظر
عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

وقال الفرزدق :

تَرَوَدَ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدْعُ لَهُ فَوَادًا وَلَمْ يَشْعُرْ بِمَا قَدْ تَرَوَدَا
فَلَمْ أَرَ مَقْتُولًا ، وَلَمْ أَرَ قَاتِلًا بَنِيرَ سِلَاحٍ مِثْلَهَا حِينَ أَقْصَدَا

وقال آخر :

وَمَنْ كَانَ يُؤْتِي مِنْ عَدُوِّ وَحَاسِدٍ فَإِنِّي مِنْ عَيْنِي أُتَيْتُ وَمِنْ قَابِي
هَذَا اعْتَوَرَانِي : نَظْرَةً ثُمَّ فِكْرَةً فَمَا أُبْقِيَا لِي مِنْ رَقَادٍ وَلَا لَبٍّ

وقال ابن المعتز :

مَتَيْتُمْ بِرَمَى نَجْمِ الدُّجَى يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً عَازِلُهُ
عَيْنِي أَشَاطَتْ بِدَى فِي الْهَوَى فَابْكُوا قَتِيلًا بِمِثْلِهِ قَاتِلُهُ

وقال الأَرَجَانِي :

تَمْتَمْتُ يَا مُقَلَّتِي بِنَظْرَةٍ وَأُورِدَ تَمَا قَلْبِي أَمْرًا الْمَوَارِدِ
أَعْمَيْتُ كُفًّا عَنْ فَوَادِي فَإِنَّهُ مِنَ الظُّلُمِ سَمِيٌّ ائْتِنِي فِي قَتْلِ وَاحِدِ

وقال آخر :

حَاتِبْتُ قَلْبِي لَمَّا رَأَيْتُ جِسْمِي نَحِيلًا
فَأَلَزَمَ الْقَلْبُ طَرْفِي وَقَالَ : كُنْتَ الرَّسُولَا
فَقَالَ طَرْفِي لِقَلْبِي بَلْ كُنْتَ أَنْتَ السَّوْءُ وَلَا
فَقُلْتُ : كُفًّا جَمِيعًا تَرَكْتَانِي قَتِيلًا !

لذة الحب كلها :

قال الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية :

« ليس للقلب والروح لذّة ولا أطيّب ، ولا أحلى ولا أنعم ، من محبة الله ، والإقبال عليه ، وعبادته وحده ، وقرّة العين به ، والأُنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته . وإنّ مثقال ذرّة من هذه اللذّة لا يُمدّل بأمثال الجبال من لذات الدنيا » .

وقال بعض العارفين : « مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ . ومن لم تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ ، ويكفى في فضل هذه اللذّة وشرفها أنّها تخرج من القلب ألَمَ الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألّم بأعظم ما يلتذّ بها أهلها ويفرّ منه فرارهم من المؤلم . وهذا موضعُ — الحاكم فيه الذّوق لا مجرد لسان العلم » .

وكان بعض العارفين يقول : مساكين أهل الدُّنْيَا ، خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا طيب نعيمها . فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبة الله والأُنس به والشوق إلى لقائه ، ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر : والله إنه ليرى بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنة في مثل هذه الحال ، إنهم لفي عيشٍ طيبٍ . وأنت ترى محبة من محبته عذاب القلب والروح كيف توجب لصاحبها لذّة يتمنى معها أنه لا يفارق من أحبه . كما قال شاعر الحساسة :

تشكى المحبون الصّباةَ كَيْتَنِي تحمّلتُ ما يلقون من بينهم وَحْدِي
فكانت لقلبي لذّة الحبّ كأنها فلم يلقها قبلي حبٌّ ولا بعدى !

أَحْسَنْتَ زَيْدِي :

قال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه ، فأرادها ، فقالت :
إِنَّ أَبَاكَ مَسْنَى . فشنف بها ، وقال فيها :
أرى ماء وبى عطش شديدٌ ولكن لا سبيلَ إلى الورودِ
أما يكفيكِ أَنَّكِ تملكيني وأنَّ اللّاسَ كلهمُ عبيدي
وَأَنَّكِ لَوْ جَهِدْتِ على تلافِي لفلتُ من الرِّضَا : أحسنتِ زَيْدِي

لَذَّةُ اللِّقَاءِ شِفَاءٌ :

وذكر المتبي أن شاباً من ولد عثمان ، وشاباً من ولد الحسين ، خرجا يريدان موضعاً لهما ،
فنزلا تحت سَرَحَةٍ ، فأخذ أحدهما ورقة فكتب عليها :
خَيْرِينَا - خَصَصْتِ بِالنِّبْتِ يَا سَرُّ حُ ، بصدقٍ ، والصدق فيه شفاء
وكتب الآخر :

هل يموتُ الحبُّ من أَلَمِ الحُبِّ بٌ ويشقى من الحبيب اللقاه
ثم مضيا ، فلما رجعا وجدا مكتوباً تحت ذلك :
إِنَّ جَهْلًا سَوَّالَكَ السَّرَحَ عما ليس يوماً عليك فيه خفاء
ليس لما شق الحبُّ من الحُبِّ بٌ سوى لَذَّةِ اللِّقَاءِ شِفَاء

دعاء في الطواف :

وقال أبو المنجاب : رأيتُ في الطواف فتى ، نحيف الجسم ، بين الضعف ، يلوذ ويتموّد ويقول :

وددت بأنّ الحبّ يجمع كلّهُ
فلا ينقضى ما في فؤادي من الهوى
فيقذف في قلبي ، وينلق الصدّر
ومن فرحى بالحبّ أو ينقضى العمرُ
فقلت : يا فتى ، ما لهذه البنية حُرمةً تتممك عن هذا الكلام ؟ قال : بلى والله ،
ولكنّ الحبّ ملأ قلبي بفرح التذكّر ، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشدّ
عن معرفة ما بي . فتمنيتُ الموتى . والله ما يسرّني بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين
من الملك . وإنّي أدعو الله أن يثبتني في قلبي عمرى ، ويجعله نجيمى في قبرى ، دريتُ به
أو لم أدّر . هذا دعائى ، أو أنصرف من حجّتى . ثم بكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال :
خوف ألا يستجاب دعائى ، وله قصدت ، وفيه رغبت !

* * *

محبة الأعداء :

من الكلمات المأثورة عن السيّد المسيح عليه السلام قوله : « أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ » .

وقال دِعبِل الخِزاعى :

أشبهت أعدائى فصرتُ أحبّهم
أجدُ اللامة في هوائك لذيدةً
إذ كان حظّى منك حظّى منهم
حبّاً لتذكرك فليعلمنى اللومُ

وقال آخر :

مَن كان يشكر للصديق فإنّنى
هم صيرّوا طلبَ المالِ دَبدَدى
أحبُّو بِصالحِ سُكْرِى الأعداءِ
ولربّما انتفع الفقى بمعدوّه
حتى وطئتُ بتعلّى الجوزاءِ
والسُّمُّ - أحياناً - يكون شفاءً

وقال آخر :

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَىَّ وَمِنَّةٌ فَلَا قَطْعَ الرَّحْمَنِ عَنِّي الْأَعَادِيَا
هُمْ يَجْتَنُّونَ عَنِّي فَاجْتَنِبْنَهَا وَهُمْ نَافِسُونِي فَاکْتَسِبْتُ الْمَعَالِيَا

وقال أحد الشعراء :

سَرَرْتُ بِهَجْرِكَ لَمَّا عَلِمْتُ تَنْ أَنْ لِقَابَكَ فِيهِ سُرُورَا
وَلَوْلَا سُرُورُكَ مَا سَرَرْتَنِي وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورَا

المصادر والمراجع

جميع المصادر والمراجع مأخوذة من كتب مطبوعة ومخطوطة من رصيد الخزنة التيمورية بدار الكتب المصرية وهي :

١٨	التبريزى على الحاسة	١	العقد الفريد
١٩	سحر العيون	٢	خلاصة الأثر
٢٠	فوات الوفيات	٣	أمالى أبى القاسم الزجاجى
٢١	اليتيمة للشمالي	٤	الإسعاف شرح شواهد الكشف
٢٢	بنية الوعاة	٥	الغنائف والمسوب
٢٣	كتاب الترقيص ضمن كتاب	٦	الحيون للجاحظ
	اتفاق المباني واقتراح الماني	٧	فتح الطيب
٢٤	إرشاد الأديب	٨	وفيات الأعيان لابن خلكان
٢٥	الأغاني	٩	خزانة الأدب للبندادى
٢٦	العزير المحلى	١٠	لوعة الشاكى ودمعة الباكي للصفدى
٢٧	علم الدين لعل باشا مبارك	١١	طوق الحمامة فى الألفة والألاف
٢٨	الروض الأنف	١٢	سبعة المراجان
٢٩	الكامل لابن الأثير	١٣	شرح شواهد التحفة الوردية
٣٠	بدائع الفوائد	١٤	عيون التواريخ
٣١	روضة الأعيان للتراجم	١٥	خاص انخاص للشمالي
٣٢	روضة المحبين ونزهة المشتاقين	١٦	مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور
		١٧	أمالى أبى على الفالى